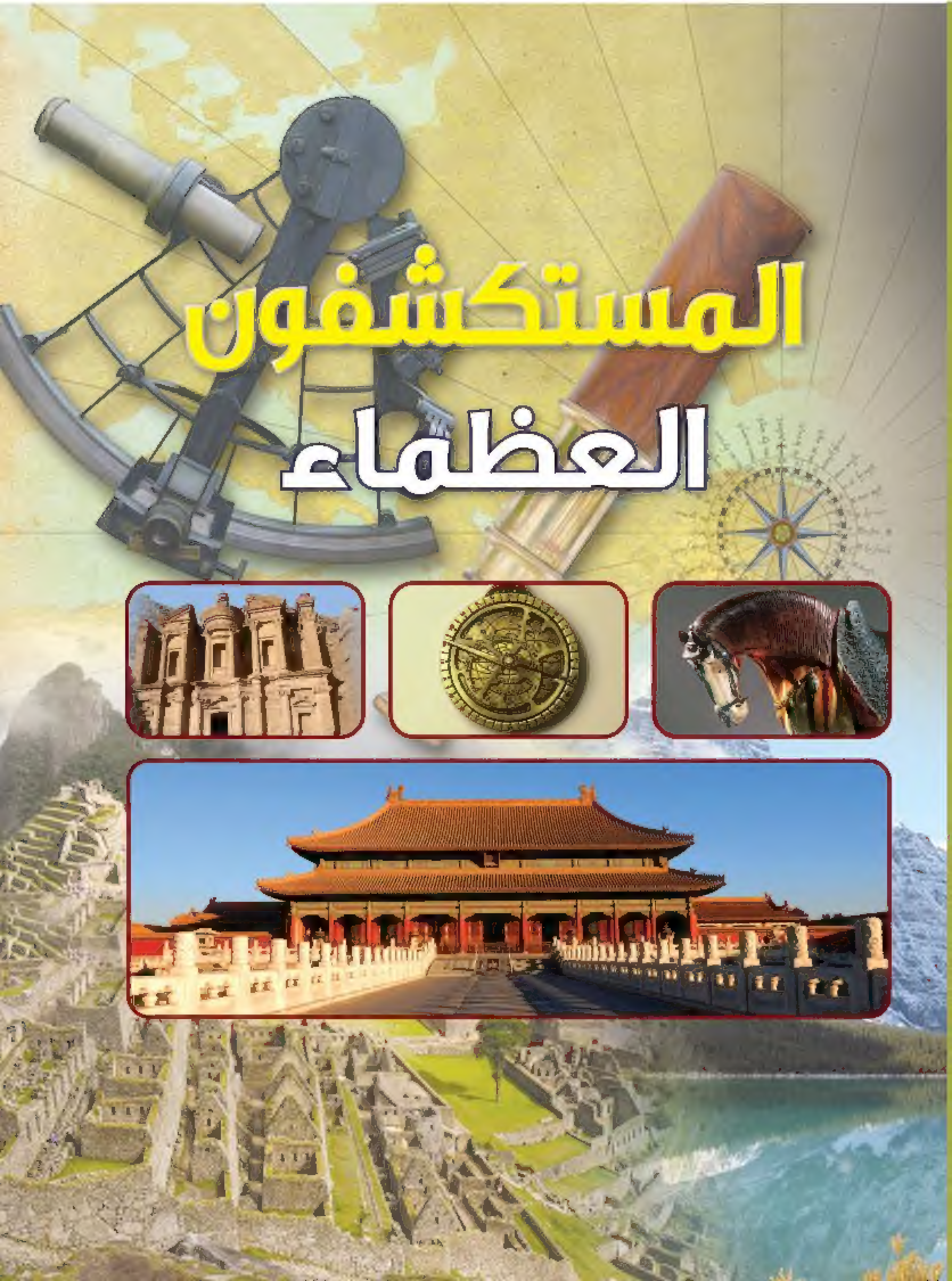
المستكشفون العظماء



المستكشفون العظماء



© الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2016
ردمك: 2-448-36-9947-978

هذا الكتاب من إصدار:

الطبعة الأولى 1437هـ - 2016م

نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع
22، شارع قيطوني عبد المالك
قسنطينة - الجزائر -
هاتف/فاكس: 031.92.25.61 213+

دار المؤلف
Dar Al-Moualef
للنشر والطباعة والتوزيع ش م م
for Publishing, Printing and Distribution s.a.r.l
Tel.: +961 1 823720
Fax: +961 1 825815
info@daralmoualef.com



المستكشفون العظماء

اكتشف العالم متعقبًا خطوات أشهر المستكشفين

إعداد: لجنة موسوعة باراغون

ترجمة: فاديا قرعان


Labrador
Sea

المحتويات



المقدمة

أقام الإنسان الأول في المناطق الشرقية من أفريقيا ولم يغادرها إلا منذ قرابة 50 ألف سنة، ليتملكه بعدها توق شديد إلى استكشاف مناطق جديدة. ولم يتوانَ المستكشفون المقدامون عن تخطي الحدود كافة وصولاً إلى الأماكن الأكثر عدائية على الكرة الأرضية. فسبروا أغوار القارات برمَّتها، بدءًا من الأدغال الاستوائية وصولاً إلى القطبين المتجمدين وخسر الكثيرون حياتهم خلال ذلك. ومنذ عهد قريب، بدأنا باستكشاف ما هو أبعد من كوكبنا. وسنروي لكم، على صفحات هذا الكتاب، قصص بعض المستكشفين الاستثنائيين، بدءًا من الرحلات الأولى التي جرى تسجيلها وصولاً إلى المغامرين المعروفين في التاريخ الحديث. إليكم فيما يلي الاستكشافات التي أعطت العالم شكله الحالي.





المستكشفون الأوائل

لم تكن الرحلات التي قام بها الرحّالة الأوائل من دون هدف: فالمصريون، والفينيقيون والإغريق عقدوا العزم على السفر بغية ممارسة النشاطات التجارية، في حين أن الصينيين غادروا موطنهم لإيجاد حلفاء جدد والبحث عن تعاليم بوذا. أما الاسكندينافيون القدماء فأبحروا بحثًا عن أماكن جديدة للعيش. ويعود الفضل في جمع هذه المعلومات كلها عن المغامرين الأوائل إلى أن بعضًا منهم تركوا نصوصًا مكتوبة عن رحلاتهم التي حملتهم إلى أقاصي العالم الذي يعرفونه.

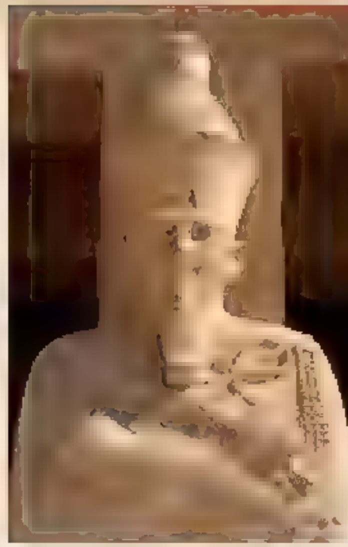


الرحلة إلى بنط

مع أننا لا نعرف أسماء المستكشفين الأوائل، فإننا ندرك أن المصريين القدامى قاموا، منذ قرابة الـ 3500 سنة، خلال حكم الملكة حتشبسوت، برحلة إلى بلاد البنط.

برًّا وبحرًّا

بعد تواصلهم مع سكان بلاد البنط، سافر المصريون إلى تلك البلاد بهدف التجارة. لم نتمكن من تحديد مكان بلاد البنط، ولكن يُعتقد بأنها تقع في شمال الصومال، عند طرف البحر الأحمر. وبعد أن قطر المصريون المواد كافة التي يحتاجون إليها لبناء سفنهم، برًّا، من نهر النيل إلى سواحل البحر الأحمر، بنوا خمس سفن وأبحروا على متنها لمدة سنة.



الملكة حتشبسوت

حكمت مصر ما بين عامي 1473-1458 قبل الميلاد، وهي غالبًا ما تجسد في التماثيل على شكل رجل. ومردّ ذلك إلى أنها الامرأة الأولى التي حملت لقب فرعون (حاكم مصري)



تروي النقوش على جدران المعبد قصة الرحلة إلى بلاد بنط.

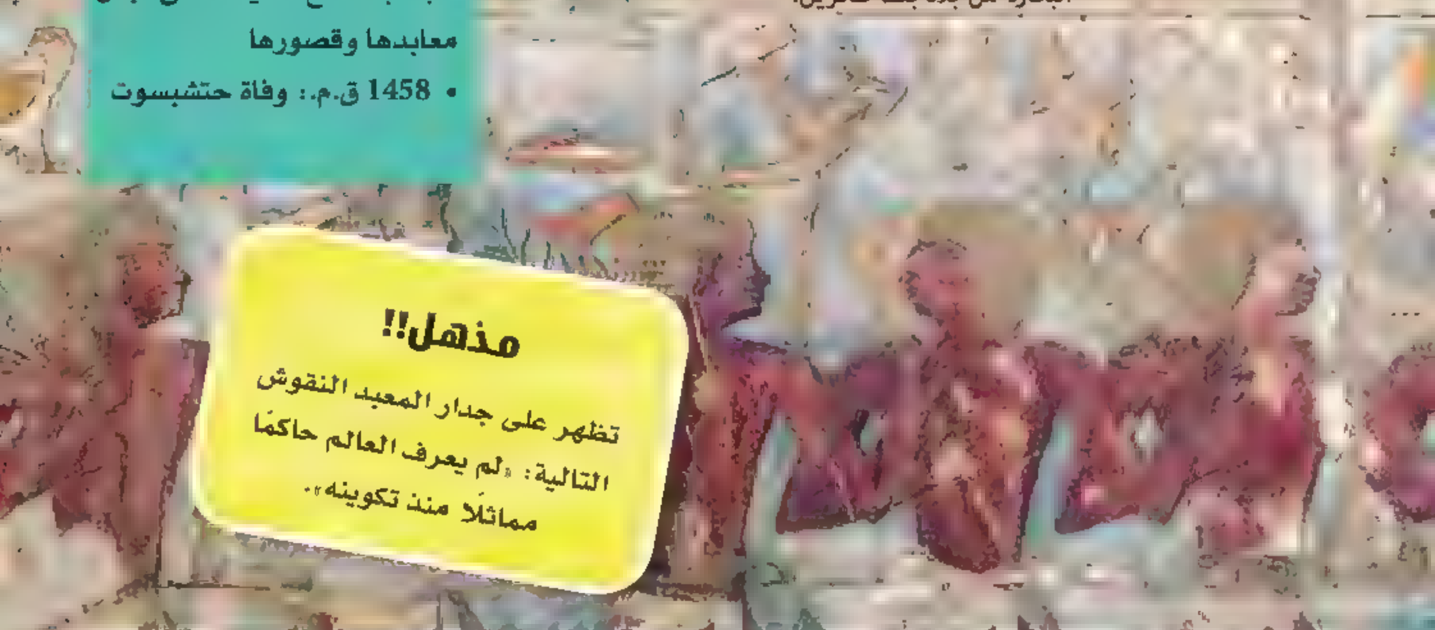
معبد حتشبسوت

بنت حتشبسوت معبدًا ضخمًا ليُدفن فيها جسدها بعد موتها. ينتصب معبدها على منحدرات الضفة الغربية لنهر النيل في ثيفا (طيبة)، أحد أبرز المراكز الدينية في مصر القديمة.

أثرياء بلاد بنط

مع وصولهم إلى بلاد بنط، حمّل المصريون سفنهم بأشجار المر، والبخور، والعاج، والذهب، والأبنوس، وجلود النمور وغيرها من الكماليات، هذا إلى جانب الحيوانات الحية كالقرود والكلاب الأليفة. ومع امتلاء سفنهم بالبضائع، أبحر المصريون شمالاً عائدين أدراجهم إلى البحر الأحمر. وبعد عبورهم برًّا، نحو نهر النيل، أبحروا من جديد عائدين إلى ديارهم.

تصور النقوش على جدران معبد حتشبسوت عودة البحارة من بلاد بنط ظافرين.



الإطار الزمني:

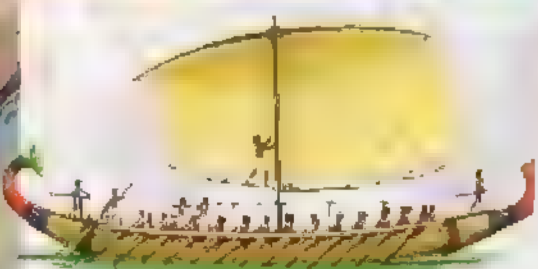
- 2500 ق. م.: الاتصال الأول بين المصريين القدماء وسكان بلاد البنط
- 1473 ق. م.: حتشبسوت تحكم البلاد نيابة عن ابن زوجها الرضيع تحوتمس الثالث
- 1470 ق.م.: حتشبسوت تأمر بتنظيم رحلة إلى بلاد بنط لجلب سلع ثمينة من أجل معابدها وقصورها
- 1458 ق.م.: وفاة حتشبسوت

مذهل!!

تظهر على جدار المعبد النقوش التالية: «لم يعرف العالم حاكمًا مماثلًا منذ تكوينه».

السفن المصرية

كانت السفن التجارية العائدة لمصر القديمة مصنوعة من الألواح الخشبية القصيرة المترابطة في ما بينها بوساطة حبل طويل ملفوف حول الإطار الخشبي الأساسي. تتميز السفينة بشراعها الكتاني الكبير ومجاديفها الـ 16 الموزعة على الجانبين بغية استعمالها عندما تكون الرياح خفيفة أو في الاتجاه المعاكس. يستخدم المجداف الكبير الموضوع في مؤخرة السفينة لتسييرها.



تضم السفن التجارية أماكن واسعة في داخلها لتخزين السلع التي تمت مقايضتها من بلاد البنط.

التجار الفينيقيون

أنشأ الفينيقيون، وهم من الشعوب التي أقامت في لبنان، على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، المستوطنات، ومنها قرطاج في شمال أفريقيا، حيث كان في إمكانهم ممارسة النشاطات التجارية مع السكان المحليين.

رحلة حانون

قرابة عام 475 ق.م.، قاد حانون القرطاجي أسطولًا مؤلفًا من 60 سفينة من قرطاج بحثًا عن أماكن جديدة لإنشاء المستوطنات. فعبروا البحر الأبيض المتوسط وصولًا إلى الساحل الأفريقي، حيث شاهدوا، في طريقهم بركانًا متفجرًا. ويُعتقد بأنهم وصلوا إلى جبل كاميرون، وهو البركان الوحيد الناشط على طول الساحل الغربي.

مذهل!

كتب حانون أنه التقى أناسًا أجسامهم مكسوة بالشعر، أطلق عليهم اسم «غوريلا».



شكلت أعمدة هرقل حدود العالم المعروف

أعمدة هرقل

مع توجه حانون وأسطوله غربًا، عبروا بين أعمدة هرقل، أو الاسم الذي أطلق على مضيق جبل طارق على الساحل الأوروبي وجبل هاشو على الساحل الأفريقي.



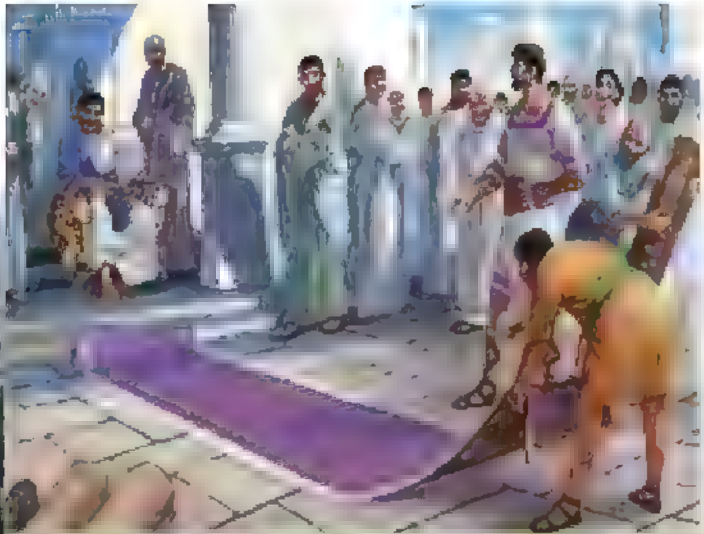
يُعتقد أن السفن الفينيقية كانت تبدو على هذا الشكل

السفن الفينيقية

لا تتوافر لدينا معلومات وافية عن السفن التجارية الفينيقية نظرًا إلى أن السجلات تفتقر إلى التفاصيل التقنية. ويُعتقد أنها كانت مصنوعة من الألواح الخشبية وتعمل بوساطة شراع واحد وعدد من المجاديف الموزعة على جانبي السفينة.

اللون الأرجواني

اشتهر الفينيقيون بملابسهم الأرجوانية الراقية. فقد كانوا يستخرجون مادة سائلة من حلزونات البحر ويصنعون منها الصباغ، بحيث إنهم كانوا يحتاجون إلى أكثر من 30 ألف حلزون لصناعة كيلوغرام واحد من الصباغ. لذا، كانت الأنسجة الأرجوانية باهظة الثمن.



كانت الملابس الأرجوانية نادرة جدًّا ولا يرتديها إلا الأثرياء فقط.

الإطار الزمني:

- 814 ق.م.: إنشاء الفينيقيين مدينة قرطاج التجارية في شمال أفريقيا.
- 600 ق.م.: سفينة فينيقية تبحر حول أفريقيا.
- 475 ق.م.: رحلة حانون إلى الساحل الغربي في أفريقيا.

حول أفريقيا

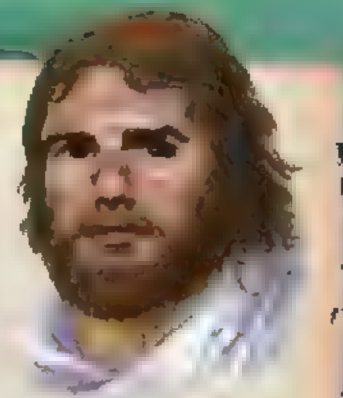
لم يكن حانون أول رحالة فينيقي، فقرابة عام 600 ق.م.، إستخدم الفرعون المصري نخاو الثاني طاقمًا من البحارة للإبحار باتجاه البحر الأحمر، والالتفاف حول أفريقيا ومن ثم العودة إلى مصر مرورًا بالبحر الأبيض المتوسط. استمرت هذه الرحلة ثلاث سنوات لأن أفراد الطاقم كانوا يتوقفون في كل سنة ليزرعوا الثمار ويحصدوا الغلة.

حول بريطانيا

تميز الإغريق القدماء بحسهم التجاري وحبهم للرحلات الاستكشافية. ففي عام 330 ق.م.، نظم تاجر إغريقي يُدعى بيثياس إحدى الرحلات الأكثر تميزًا في العالم القديم.

الإطار الزمني:

- 600 ق.م.: إنشاء الإغريق مستعمرة ماسيليا.
- 380 ق.م.: ولادة بيثياس.
- 320 - 330 ق.م: رحلات بيثياس حول بريطانيا وزيارته ثول. روى بيثياس تفاصيل رحلته في كتابه «في المحيط» الذي ضاع بعدها.
- 310 ق.م. : وفاة بيثياس.



بيثياس

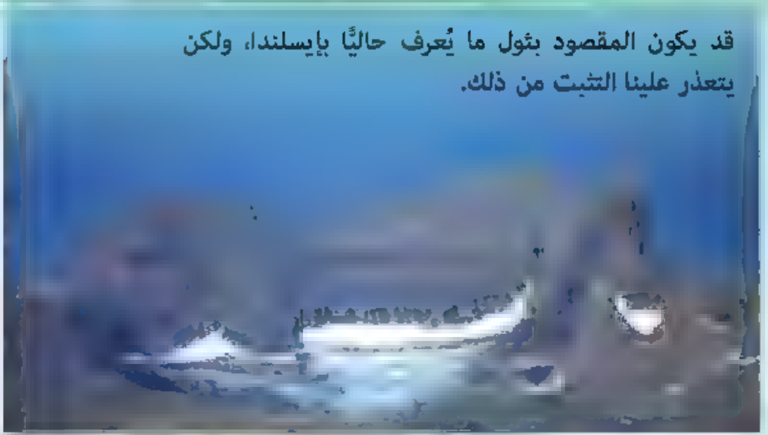
ولد بيثياس قرابة عام 380 ق.م. في ماسيليا، وهي مستوطنة إغريقية في جنوب فرنسا، تُعرف حاليًّا بمارسيليا. خلال رحلته، كان بيثياس أول من وصف الشفق القطبي أو أضواء القطب الشمالي، الأشبه بتوهج أخضر غالبًا ما يملأ السماء في أقصى الشمال.

مذهل!

كان القصدير يُنقل من كورن ويل، عندما يكون الجزر في أدنى درجاته، إلى جزيرة جبل سان ميشيل. كان التجار يخشون نقله برًا لأن السكان المحليين كانوا عنيفين جدًا.

الطريق إلى ثول

انطلق بيثياس من ماسيليا عبر البحر الأبيض المتوسط. وسلك بعدها الخط الساحلي الشمالي للمحيط الأطلسي وصولًا إلى القناة الإنكليزية المؤدية إلى كورن وال، حيث شاهد أعمال التنقيب في المناجم وتكرير القصدير وتحويلها إلى قوالب بحجم قبضة اليد. وأبحر لاحقًا شمالًا باتجاه البحر الإيرلندي، فعبر جزر الهيربيد وصولًا إلى جزر أوركني الواقعة في أقصى اسكتلندا. وتابع من تلك النقطة رحلته لمدة ستة أيام أخرى إلى أن بدأ طيف أرض ثول، أو المنطقة الواقعة في أقاصي الأرض، يلوح من بعيد.



قد يكون المقصود بثول ما يُعرف حاليًّا بإيسلندا، ولكن يتعذر علينا التثبت من ذلك.

ثول

لم نتمكن من تحديد المكان الصحيح لمدينة ثول، لكن بيثياس قال إن الشمس لا تغيب في ذلك المكان. والبحر أشبه بمادة «لا يمكن السير أو الإبحار عليها»، ويمكن أن يكون المقصود بها الجليد. ما يعني أن ثول كانت على مسافة قريبة من المحيط المتجمد الشمالي.



شاهد بيثياس أضواء القطب الشمالي المبهرة في ثول.



كان الإغريق القدماء يصنعون السلع لمقايضتها، ومنها هذا العقد الظاهر في الصورة.

التجارة الإغريقية

أنشأ الإغريق القدماء عددًا كبيرًا من المستعمرات حول كل من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود. تمكنت هذه المستعمرات من الازدهار بفضل تجارة القصدير، والحبوب وغيرها من المواد الأولية وذلك في مقابل السلع الإغريقية الصنع كالمجوهرات.

رحلة العودة

في ثول، اتجه بيثياس جنوبًا لسبر أغوار الساحل الشرقي لبريطانيا، ثم عبر بحر الشمال باتجاه جزيرة عنبر قبالة الساحل الدانمركي. وعاد من تلك النقطة، أدراجه إلى ماسيليا، مبحرًا من المرجّح، عبر نهر الراين ليسافر بعدها برًّا ليعود ويبحر عبر نهر الرون إلى الساحل.

دفاعًا عن الصين

في ظل الخطر الذي كان محدقًا بالإمبراطورية الصينية عام 138 ق.م. جراء الأطماع التوسعية لقبيلة الهون التي تنتمي إلى فصيلة الرعاة الرحل في آسيا الوسطى، أرسل الإمبراطور الصيني «وو» موفدًا رسميًا من قبله للبحث عن حلفاء جدد بين الدول المجاورة.

البحث العقيم

انطلق شانك جيان من العاصمة الصينية تشانغان واضعًا نصب عينيه طلب المساعدة من قبيلة يوو تشيْ في آسيا الوسطى. إلا أنه وقع في أسر الهون، قبل أن يتمكن من الوصول إلى وجهته. وبقي مسجونًا لمدة 10 سنوات. وعندما تمكن في نهاية المطاف من الفرار، توجه شرقًا إلى فرغانة حيث التقى زعماء قبيلة يوو تشي، الذين رفضوا الدخول في نزاع مع الهون. ما اضطره للعودة إلى دياره خالي اليدين.

الإطار الزمني:

- 160 ق.م.: ولادة شانك جيان.
- 138-127 ق.م.: رحلة شانك جيان لعقد تحالف جديد مع قبيلة يوو تشي ووقوعه في أسر الهون.
- 126 ق.م. : عودة شانك جيان إلى بلاده.
- 119 ق.م.: رحلة شانك الثانية إلى آسيا الوسطى.
- 107 ق.م.: وفاة شانك جيان.
- 100 ق.م.: فتح طريق الحرير.



ماذا بعد؟

ساهم التقرير الذي قدمه شانك جيان إلى الإمبراطور في فتح طريق الحرير، أو طريق التجارة الجديد المؤدي إلى بارثية والإمبراطورية الرومانية. وأدى طريق الحرير دور الطريق التجاري الرئيسي بين الصين وأوروبا على مدى قرون طويلة.

سلالة هان

كان أباطرة سلالة هان، الذين حكموا الصين ما بين عامي 206 و 220 ق.م. يؤمنون بأن نفوذهم مُنزل من السماء. فحكموا البلاد من خلال سلسلة من الأسر النافذة، من أصحاب الأراضي، وبنوا جيشًا قويًّا وحرصوا على توسيع حدود إمبراطوريتهم لتشمل الجزء الأكبر من الصين الحديثة.

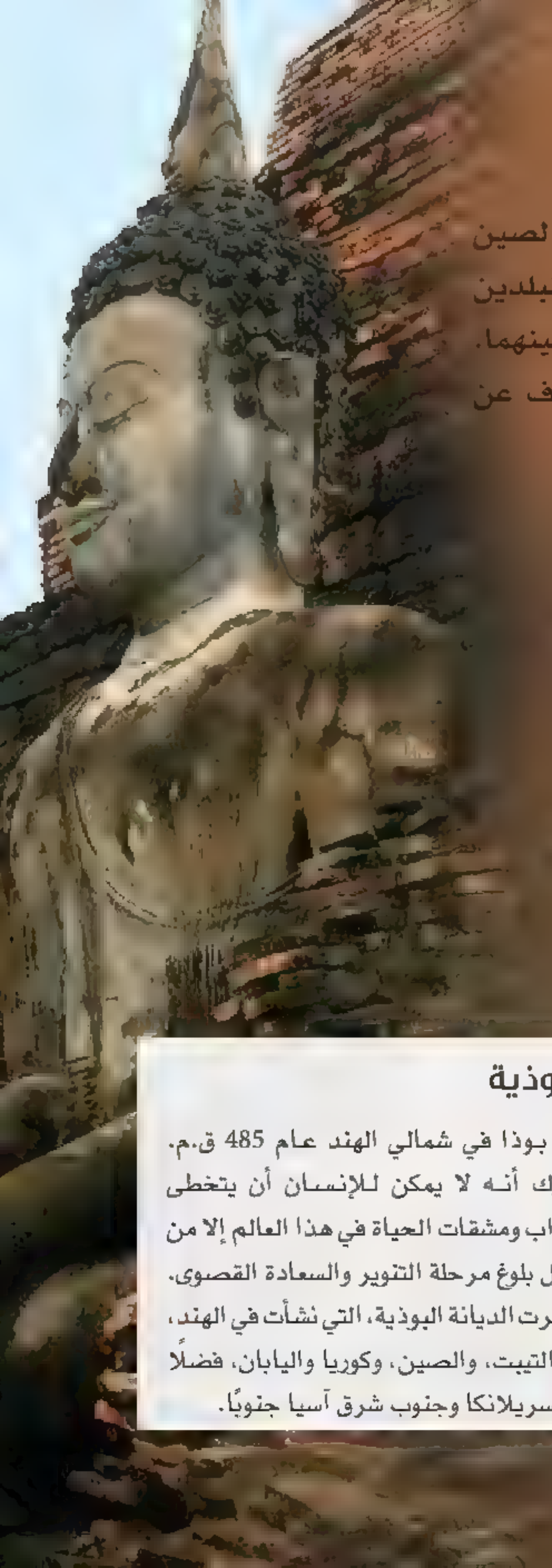


اشتهرت سلالة هان ببراعتها في صناعة القطع الخزفية المصقولة، ومنها هذه القطعة البادية بالصورة التي تجسد حصان فرغانة القيّم.

الانفتاح على الغرب

أثارت التقارير التي وضعها شانك جيان عن الشعوب المقيمة بمحاذاة الحدود الغربية اهتمام الإمبراطور «وو». فقرر قرابة عام 116 ق.م. إرسال شانك جيان من جديد لمقابلة تلك الشعوب. فحققت هذه المرة رحلته المزيد من النجاح، بحيث أجرى اتصالات مفيدة واكتشف الطرق التجارية التي تربط الصين بكاشغر وفرغانة، وبالهند من الجنوب.





البحث عن بوذا

على الرغم من بلوغ الديانة البوذية إمبراطورية الصين قرابة عام 70 م.. آتية من الهند، فإن التواصل بين البلدين بقي محدودًا بسبب جبال الهيمالايا التي تفصل بينهما. فقرر ناسكان من الصين السفر إلى الهند للتعرف عن كثب إلى ديانتهم.

الناسك فاكسيان

عام 399م، انطلق فاكسيان من الصين واتجه غربًا على [illegible] حيث عثر على الكثير من النساك البوذيين. واجتاز بعدها الجبال جنوبًا ليصل إلى الهند حيث تابع تعليمه في الأديرة البوذية على طول نهر الغانج. وبعد قيامه بزيارات [illegible]

تكثر في جنوب آسيا التماثيل العملاقة المشابهة للتمثال البادي في الصورة، والتي تجسد بوذا.



[illegible] يتبعون تعاليم بوذا.

البوذية

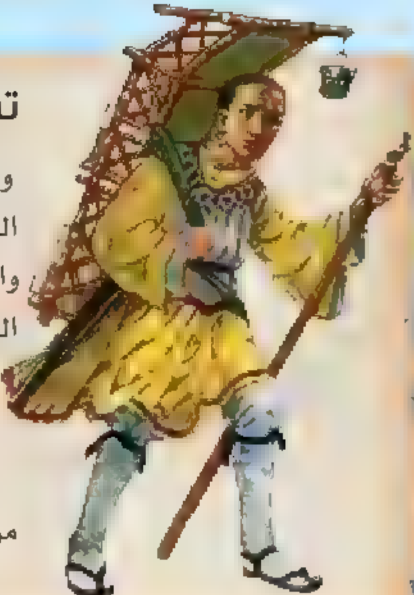
ولد بوذا في شمالي الهند عام 485 ق.م. وأدرك أنه لا يمكن للإنسان أن يتخطى العذاب ومشقات الحياة في هذا العالم إلا من خلال بلوغ مرحلة التنوير والسعادة القصوى. انتشرت الديانة البوذية، التي نشأت في الهند، إلى التيبت، والصين، وكوريا واليابان، فضلًا عن سريلانكا وجنوب شرق آسيا جنوبًا.

الإطار الزمني:

- 337 م: ولادة فاكسيان.
- 399-412 م: سفر فاكسيان إلى الهند.
- 422 م: وفاة فاكسيان.
- 602 م: ولادة تشيونتسانغ.
- 629 - 645 م: سفر تشيونتسانغ إلى الهند عبر آسيا الوسطى .
- 664 م: وفاة تشيونتسانغ.

تشيونتسانغ

ولد تشيونتسانغ عام 602م وغادر الهند مع سن بلوغه السابعة والعشرين. كان تواقًا إلى تفسير التعاليم الصعبة التي وجدها في النصوص البوذية. ومع عودته إلى دياره، بعد نحو 16 سنة، كان قد تمكن من جمع أكثر من 650 كتابًا دينيًا.



اعتاد تشيونتسانغ على حمل كتبه على ظهره.

العالم القديم

عام 629 م، سافر الناسك تشيونتسانغ إلى الهند لدراسة النصوص البوذية القديمة. فتعلم اللغة الهندية القديمة، أو السنسكريتية، وقام برحلات داخل البلاد لجمع المزيد من المعلومات عن بوذا وتعاليمه. وأصبح دفتر يومياته، الذي يصف فيه المسافة التي قطعها وتجاوزت الـ 60 ألف كيلومتر، مصدرًا مهمًا للمعلومات عن جغرافية الصين والهند.

ماذا بعد؟

اخترع الصينيون طريقة جديدة في طباعة النصوص المصفوفة على الورق قرابة عام 500م، وذلك ليتمكن أكبر عدد ممكن من الناس من قراءة النصوص البوذية الجديدة.

كان دير أجانتا في الهند محفورًا في الصخور في الوقت الذي قام فاكسيان فيه برحلاته.



رجل العلوم

كان فاكسيان، الذي يعني اسمه «معلم القانون البارز»، عالمًا بوذيًا متميزًا. لا نملك معلومات كثيرة عن حياته باستثناء تلك المدونة في كتابه « سجل الممالك البوذية»

الاسكندينافيون القدماء

غالبًا ما ننظر إلى الاسكندينافيين القدماء، أو الفايكينغ، على أنهم قراصنة متوحشون، يمارسون أعمال النهب والسلب. لكن الاسكندينافيين القدماء كانوا أيضًا رحالة وتجارًا جسورين، بحيث كانوا أول الشعوب الأوروبية التي وصلت إلى أميركا الشمالية.



ليف إريكسون

قرابة عام 1000م، أبحر ليف أريكسون من غرينلاند باتجاه ساحل لابرادور وذلك بغية زيارة أميركا الشمالية. فبلغ مكانًا أطلق عليه اسم «فينلاند» نظرًا إلى كثرة التوت البري فيه.



أبحرت سفن الفايكينغ بحثًا عن المغامرة وأراضٍ جديدة.

الإبحار

لم نتمكن من معرفة السبب الحقيقي الذي دفع بالاسكندينافيين القدماء، في القرن التاسع الميلادي، إلى الرحيل من موطنهم. ولكن يُعتقد أنه في ظل تزايد عدد الشبان الذين لم يترك لهم أجدادهم أراضي ليرثوها، سعى الكثيرون منهم إلى البحث عن الثروات في الخارج. وبعد تحميلهم السفن بالمؤن، أبحروا عبر المحيط الأطلسي.

الإطار الزمني:

- 841 م: إنشاء الاسكندينافيين القدماء مركزًا تجاريًا في أيرلندا.
- 870 م: مستوطنة أيسلندا.
- 986 م: إريك الأحمر ينشئ مستوطنة في غرينلاند.
- 1000 م: ليف إريكسون يبحر إلى فينلاند.
- 1010 م: تورفين كارلسفين يفشل في إنشاء مستوطنة في فينلاند.



الملاحة لدى الاسكندينافيين

تمكن الاسكندينافيون القدماء من شق طريقهم عبر المحيطات مستخدمين النجوم والشمس. فمن خلال تركيز قرص خشبي مدرج في نفس الخط مع الشمس، عند الظهيرة، كان في إمكانهم تحديد الاتجاه الجنوبي.

تشير إحدى الشقوق في هذا القرص الخشبي المدرج إلى الجنوب عند الظهيرة.

العالم الجديد

أنشئت المستوطنات الاسكندينافية الأولى في أيرلندا، وجزر اسكتلندا وجزر فارو. ومع حلول عام 870 م، كان الاسكندينافيون القدماء قد استقروا في إيسلندا. ولم يكد يمر قرن حتى غامر إريك الأحمر برحلة عبر غرينلاند التي كانت حينذاك أكثر دفئًا مما هي عليه اليوم. عام 1000 م، وصل القائد الاسكندينافي ليف إريكسون إلى نيوفاوندلاند في كندا، وربما أبعد من ذلك. غير أن المحاولة التي قام بها تورفين كارلسفين في وقت لاحق للاستقرار في هذه المنطقة، باءت بالفشل. وسرعان ما نسي الاسكندينافيون القدماء أمر هذا العالم الجديد.

وماذا بعد؟

مع حلول القرن الخامس عشر، أصبح المناخ في غرينلاند أكثر برودة، ما دفع بالفايكينغ إلى التخلي عن مستوطناتهم تاركين الجزيرة لسكان الأسكيمو الأصليين.

الاستقرار في الأرض الجديدة

عام 1960، اكتشف عالم الآثار النروجي، هلج انغستاد، دعامات منزلين اسكندينافيين في أنس أو ميدوز، عند الرأس الشمالي لنيوفاوندلاند ، في كندا. يُعتقد أن هذين المنزلين يشكلان مستوطنة فينلاند، مع أن بعض المؤرخين يرون أن مستوطنة فينلاند كانت تقع إلى الطرف الآخر من الساحل، على مقربة من كاب كود.

إعادة إعمار المستوطنة الاسكندينافية في أنس أو ميدوز



الرحلة إلى مكة

يتوجب على المسلم، وإن لمرة واحدة في عمره، أن يزور مدينة مكة المكرمة، في شبه الجزيرة العربية، ويؤدي مناسك الحج. وعلى الرغم من توافر رحلات مباشرة إلى مكة في يومنا الحالي، فإن هذه الرحلة في القرن الرابع عشر كانت أشبه برحلة العمر.



ابن بطوطة

ولد ابن بطوطة عام 1304 في كنف عائلة ثرية من العلماء في القضاء الإسلامي، ما يعني أنه كان على مستوى عالٍ من الثقافة. وحتى وفاته عام 1369، كان قد زار أكثر من 44 دولة واجتاز أكثر من 115 ألف كيلومتر خلال رحلاته.

الرحلة الطويلة

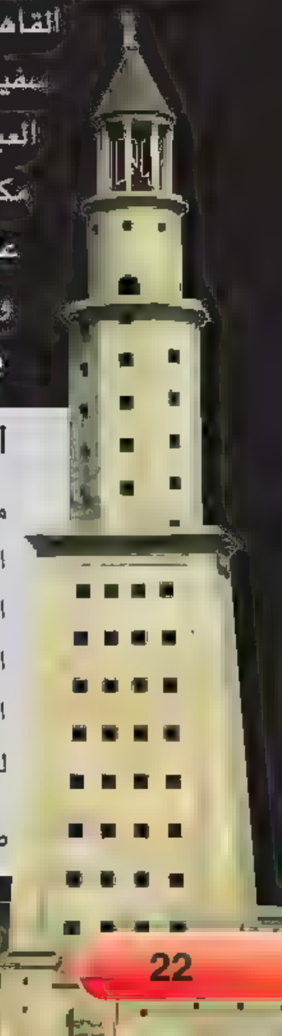
عام 1325، غادر ابن بطوطة مدينة طنجة في المغرب بهدف زيارة المدن الإسلامية المقدسة. فسافر إلى القاهرة عبر ساحل شمال أفريقيا، واستقل سفينة في نهر النيل أملًا في أن يتمكن من العبور برًّا إلى البحر الأحمر ومنه إلى مكة. ولكن عند فشله في تحقيق ذلك، عاد إلى القاهرة وقام برحلة طويلة ومرهقة عبر فلسطين وسوريا قبل أن يصل إلى مكة عام 1327.

مذهل!

وضع ابن بطوطة سجلاً فيه وقائع رحلاته كلها. لكنه كان يبالغ في بعض الأحيان في رواياته بحيث ادعى أنه شاهد مرة 12 ألف أسقف في إحدى الكاتدرائيات في القسطنطينية.

المعجزة القديمة

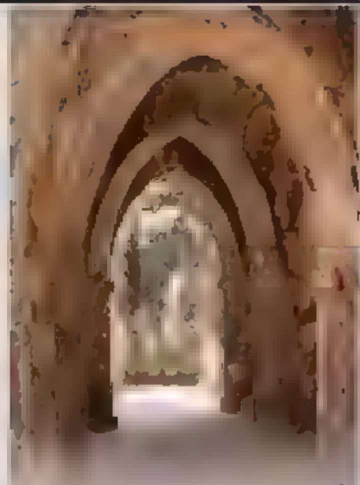
من بين المعالم الكثيرة المبهرة التي رآها ابن بطوطة خلال رحلاته، لفتت انتباهه بقايا المنارة الفرعونية في الإسكندرية. بنيت هذه المنارة التي تعد من عجائب الدنيا السبع القديمة، عام 20 ق.م. لتأمين الحراسة لمدخل الإسكندرية.



صورة للمنارة الفرعونية كما كانت تبدو في الماضي.

الإبحار جنوبًا

بعد انتهائه من أداء فريضة الحج، قرر ابن بطوطة زيارة الدول الإسلامية كافة في العالم. فاجتاز الصحراء العربية ليصل إلى العراق وبلاد فارس قبل أن يعود إلى مكة حيث درس القانون والفقه. وعام 1330 سافر عبر البحر الأحمر إلى سواحل أفريقيا الشرقية.


أنقاض المسجد الكبير في كيلوا.

شرق أفريقيا

عام 1330، قرر ابن بطوطة السفر إلى شرق أفريقيا. فزار الموانئ التجارية في كل من مومباسا في كينيا وكيلوا في تانزانيا التي وصفها بأنها «إحدى المدن الأكثر جمالاً وعراقة لجهة مبانيها». إذ كان القسم الأكبر من المنازل مبنيًّا من المرجان والحجارة.


المسجد الحرام في مكة، المحطة النهائية في فريضة الحج.

الإطار الزمني:

- 1304: ولادة ابن بطوطة في طنجه.
- 1325: سفره إلى القاهرة وإبحاره على متن مركب في نهر النيل.
- 1326: زيارته للقدس، ودمشق وسوريا.
- 1327: وصوله إلى مكة، وسفره إلى العراق وبلاد فارس.
- 1328: عودته إلى مكة.
- 1330: سفره إلى شرق أفريقيا ووصوله بحرًا إلى كيلوا.

إلى الشرق الأدنى

عام 1331، قرر ابن بطوطة العمل مع سلطان دلهي في الهند، الذي كان يحتاج إلى دليل ومترجم. فتوجه إلى الأناضول في تركيا، للانضمام إلى قافلة من التجار المسافرين عبر طريق الحرير إلى آسيا.

إلى الهند وما بعد ذلك

اجتاز ابن بطوطة البحر الأسود ليصل إلى روسيا. ومن ثم عاد واجتازه من جديد متوجهًا إلى آسيا الوسطى، مرورًا بالقسطنطينية، لينتقل بعدها إلى الهند عبر أفغانستان. عيّنه السلطان في بادئ الأمر، قاضيًا، ثم عرض عليه منصب سفير في الإمبراطورية الصينية. ما دفعه إلى السفر من جديد مبحرًا على متن سلسلة من السفن الشراعية الصينية المخصصة للتجارة من جنوب الهند إلى البر الرئيسي في الصين، مرورًا بجنوب شرق آسيا وفيتنام.



ابن فضلان

لم يكن ابن بطوطة أول رحالة بارز عرفه المجتمع الإسلامي. ففي عام 921 م، اختار خليفة بغداد ابن فضلان ليقوم بزيارة إلى ملك البلغار في الفولغا. فالتقى الفايكينغ الروس في روسيا، ولم يخف إعجابه الفائق بأوشامهم.

مذهل!

لم يظهر ابن بطوطة إعجابه بالأماكن كافة التي زارها: « لم أحب بلاد الصين.. وعبادتهم للأصنام أثارت انزعاجي».

استراحة في جزر المالديف

خلال سفره من الهند إلى الصين، أمضى ابن بطوطة تسعة أشهر في جزر المالديف في المحيط الهندي. كانت هذه الجزر قد تحولت مؤخرًا من البوذية إلى الإسلام، ما أتاح له العمل فيها كقاض للشؤون الإسلامية. لكن أحكامه الصارمة أثارت غضب سكان المالديف الميّالين إلى اللهو الخالين من الهموم.



جزر المالديف عبارة عن جزر استوائية كثيرة الأشجار.



لم تكن القرفة، وهي نوع من أنواع التوابل، معروفة في الغرب في تلك الحقبة.

سريلانكا

وقع ابن بطوطة أسير سحر سريلانكا التي وصفها قائلًا: «يعج الساحل بجذوع أشجار القرفة» . كما شاهد فيلًا أبيض مزينًا بالياقوت.

رحلة العودة الطويلة

أمضى ابن بطوطة سنة بكاملها في الصين قبل أن يشدّ رحاله وينطلق في رحلة العودة إلى دياره، مرورًا بالشرق الأوسط، ليصل في نهاية المطاف إلى طنجه عام 1349. ولكن سرعانٍ ما عاد وأعد أمتعته للسفر شمالًا إلى الأندلس ومنها إلى إمبراطورية مالي الواقعة في أقاصي الجنوب.



يشكل هذا التمثال الذي يجسد لاوتزه مؤسس الطاوية، أحد التماثيل التي عبّر ابن بطوطة عن اعتراضه عليها.

الإطار الزمني

- 1333: وصول ابن بطوطة إلى دلهي.
- 1342: مغادرته الهند بعد تعيينه سفيرًا في الصين.
- 1344: وصوله إلى الصين.
- 1345 : سفره إلى دمشق.
- 1349-54: زيارته الأندلس ومالي.
- 1368: وفاته في طنجه.

رحلة الذهاب والإياب إلى الصين

في زمن نادرًا ما كان الناس فيه يغامرون بالخروج من قراهم أو مدنهم، بحيث إن عددًا قليلًا جدًا منهم غادر بلده الأم متوجهًا إلى الخارج، كانت المآثر التي سجلتها أسرة بولو في القرن الثالث عشر مميزة فعلًا.

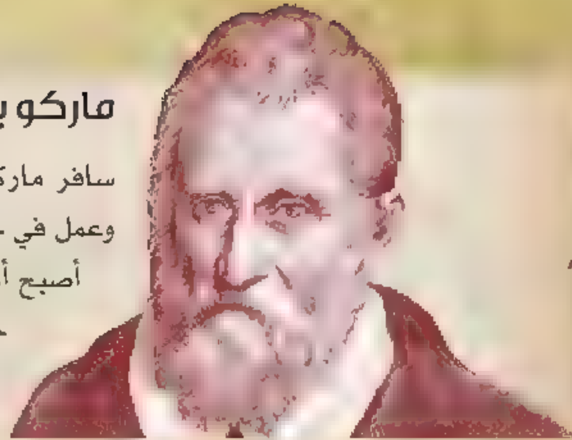
مذهل!

عام 1298، وقع ماركو بولو في أسر سكان جنوى الذين كانوا في حالة حرب مع سكان البندقية. فأخبر قصته لرفيقه في السجن، المدعو روستيتشيلو الذي أصبح كتابه «عجائب العالم» من الكتب الأكثر انتشارًا.

مواقع تجارية

تميّز نيكولو ومافيو بولو، وهما تاجران من البندقية في إيطاليا، بحماستهما الشديدة لترسيخ التبادلات التجارية مع إمبراطورية المغول الواسعة الثراء في الصين. ما دفعهما عام 1259 إلى عبور روسيا وآسيا الوسطى ليتمكنا من الوصول إلى خان باليك (بيكين)، عاصمة إمبراطورية المغول، حيث التقيا الإمبراطور قبلاي خان. عاد الأخوان بولو إلى البندقية عام 1269.





ماركو بولو

سافر ماركو بولو (1254 – 1324) إلى الصين في سن المراهقة. وعمل في خدمة إمبراطور المغول، قبلاي خان لمدة 20 سنة بحيث أصبح أحد أفراد حاشيته الأكثر جدارة بالثقة. أمضى بولو معظم حياته متنقلًا ما بين الصين وآسيا، ساعيًا إلى جمع المزيد من المعلومات عن المنطقة. في تسعينيات القرن الثالث، عاد ماركو إلى البندقية برفقة والده وعمه.



الإطار الزمني:

- 1254: ولادة ماركو بولو في البندقية.
- 1259 1269: رحلة نيكولو ومافيو الأولى إلى الصين.
- 1271 – 75: عودة الأخوين بولو إلى الصين برفقة ماركو.
- 1295: عودة آل بولو إلى البندقية.
- 1298-1299: سجن ماركو بولو في جنوى حيث أملى قصص رحلاته التي جمعت في كتاب «عجائب العالم».
- 1324: وفاة ماركو بولو في البندقية.

الصحراء الباردة

في طريقهم إلى الصين، عبر آل بولو في صحراء غوبي الباردة، حيث سجل ماركو أنها خالية من أي أثر للطيور أو الحيوانات، وتعذر عليهم بالتالي العثور على شيء ليأكلوه. وتحدث أيضًا عن السراب الذي يخدع الأبصار، والأشباح والأرواح الشريرة التي تغوي المسافرين وتقودهم إلى حتفهم. لحسن حظ أفراد عائلة بولو أنهم تمكنوا من الخروج أحياء من تلك الصحراء.

بلاط قبلاي خان

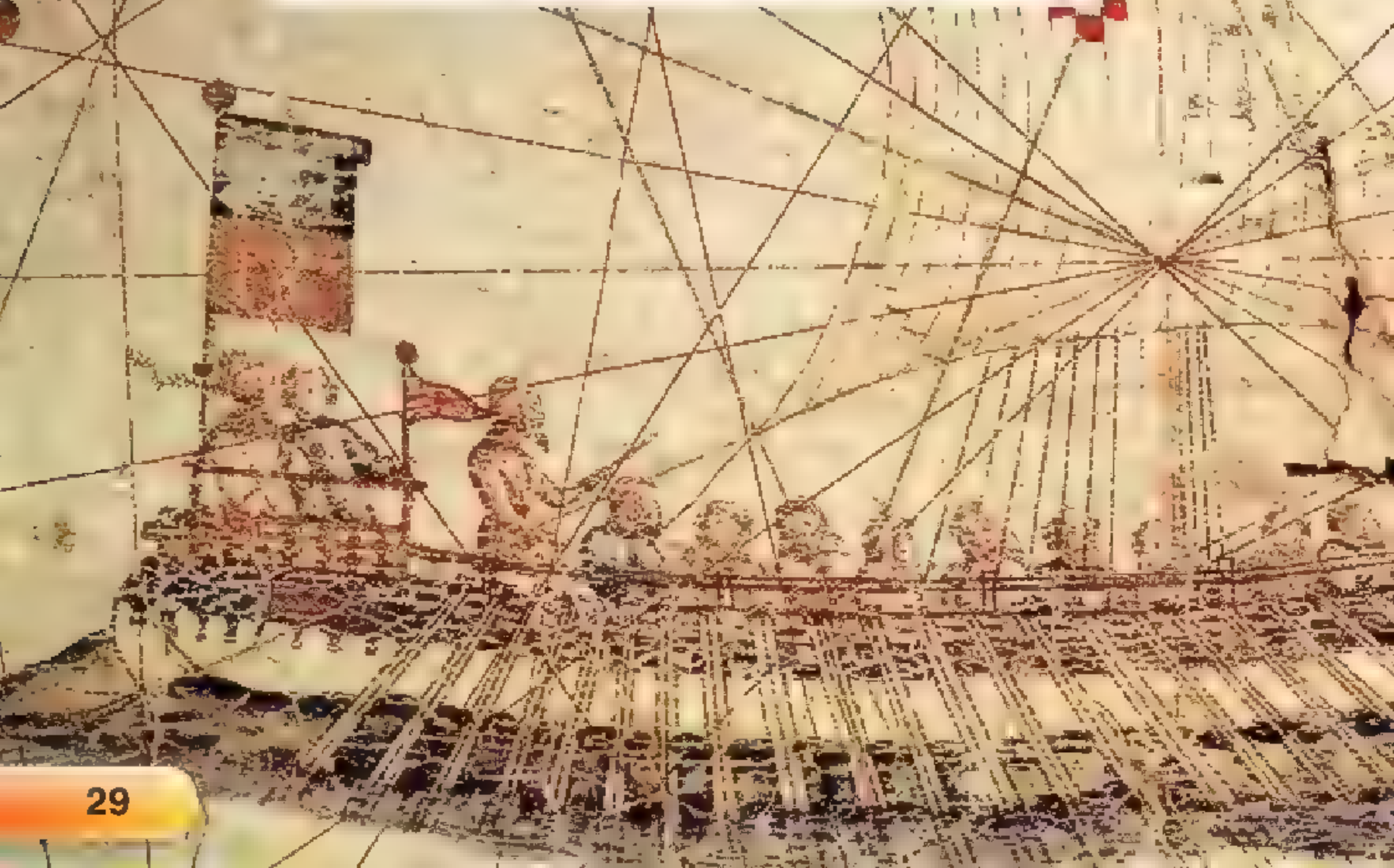


عاد الأخوان بولو إلى الصين عام 1271 يرافقهما ماركو ابن نيكولو، البالغ من العمر 17 سنة. فوصلوا إلى قصر قبلاي خان (الصورة إلى اليمين) الصيفي في شانغ – دو في أيار /مايو 1275



أنظار أوروبا تتجه نحو الشرق

وقع الأوروبيون أسرى سحر آسيا لفترة زمنية طويلة. وكانت الطريق التقليدية التي تجمع ما بين القارتين تمتد برًّا على طول طريق الحرير. ولكن في القرن الخامس عشر، بدأ البرتغاليون بالبحث عن طريق بحرية يمكن أن توصلهم إلى الصين والهند، من خلال الدوران حول أفريقيا. وسرعان ما سار المبشرون والمغامرون على خطاهم. وخلال القرن السابع عشر، بدأ الروس باستكشاف الإمبراطورية الشاسعة التي استحدثوها في سيبيريا. ومع حلول العصر الحديث، كان الأوروبيون قد تمكنوا من سبر أغوار المناطق الأكثر انعزالًا في آسيا.



الأمير هنري البحار

كان هنري البحار أمير البرتغال في القرن الخامس عشر. ومع أنه لم يكن بحارًا بنفسه، يُقال إن حجم مساهمته في الحملات الاستكشافية فاقت ما فعله أي شخص آخر قبله أو منذ ذلك الحين.



الأمير هنري

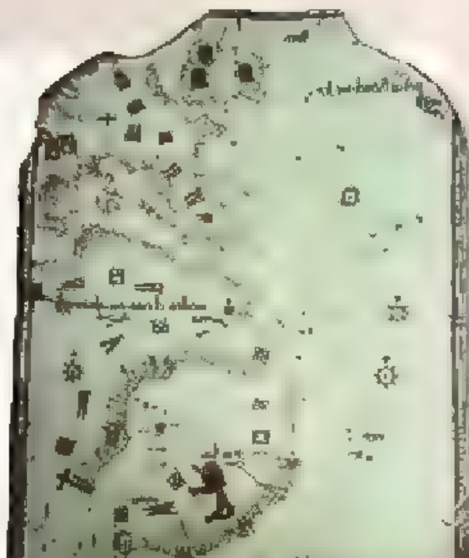
استخدم الأمير هنري (1394 - 1460) ثروته الشخصية لتمويل الرحلات. وكان يشجع البحارة البرتغاليين على استقصاء الأراضي والمحيطات الواقعة نحو الجنوب.

اهتمام خاص بقارة أفريقيا

عام 1415، تمكن البرتغاليون من انتزاع مدينة سبتة في المغرب من أيدي حكامها المسلمين. وكان بين عناصر الجيش الظافر الملك أنريكه (هنري)، ابن الملك جواوا الأول. وإذ أوحت هذه الحملة لهنري بضرورة اكتشاف المزيد عن أفريقيا، أنشأ، بدعم من والده، مدرسة لتعليم الملاحة في ساغريس في جنوبي غربي البرتغال. وكانت أساطيل السفن تنطلق من تلك النقطة، باتجاه الساحل الغربي لأفريقيا سعيًا لاستكشافه.

مدرسة الملاحة:

عُنيت مدرسة الملاحة التي تأسست عام 1418 في ساغريس بتوفير الأدوات الأساسية كافة التي يحتاج إليها أي مستكشف ولاسيما رسم الخرائط، والجغرافيا وعلم الفلك. وتمكن القباطنة والملاحون البرتغاليون، المتسلحون بهذه المهارات، من رسم خرائط الأراضي الجديدة ليتسنى بالتالي للبعثات المستقبلية الاستفادة من تجربتهم.



خريطة برتغالية تعود لعام 1485 وتظهر السواحل الغربية لأوروبا وأفريقيا

الطريق الجديد إلى آسيا

عام 1453، أسندت إلى الرحالة البرتغاليين مهمة جديدة ملحة للغاية. فبعد أن استولى العثمانيون الأتراك على القسطنطينية وقطعوا طريق الحرير الذي يصل أوروبا بآسيا، كان على البرتغاليين أن يبحثوا عن طريق بحرية تقودهم إلى ثروات الهند والصين من خلال الدوران حول قارة أفريقيا.



رسم لمركب شراعي من القرن 15 .

السفن الشراعية السريعة

طور البرتغاليون نوعًا جديدًا من السفن عُرف بالسفن الشراعية السريعة. تميزت هذه السفن، التي كانت أضيق من السفن السابقة، بسهولة التحكم بها وقدرتها على الصمود في وجه العواصف. كما كانت تضم مخازن لحفظ المؤن اللازمة للرحلات الطويلة.



صور حديثة للعاصمة البرتغالية ليشبونة.

ماذا بعد؟

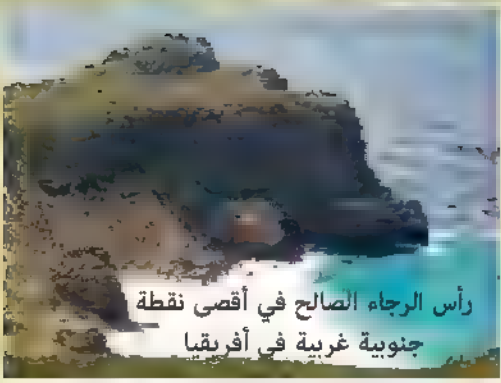
بفضل مهارتهم المتميزة في الملاحة وتطويرهم سفنًا أكثر متانة، أتاح البرتغاليون الفرصة أمام الأوروبيين للسيطرة على بحار العالم كلها والأراضي المحيطة بها.

الإطار الزمني:

- 1415: استيلاء الجيش البرتغالي على سبتة في أفريقيا.
- 1418: تأسيس الأمير هنري لمدرسة الملاحة.
- 1427: بدء البحارة البرتغاليين باستكشاف الساحل الغربي لأفريقيا.
- 1444: وصول البرتغاليين إلى نهر السنغال.
- 1471: إنشاء مركز للتجارة في المينا في غانا.
- 1472: لوبو غونكالفيس أول أوروبي يعبر خط الاستواء.

الوصول إلى المحيط الهندي

مع حلول عام 1487، لم يكن البرتغاليون، الذين نجحوا في رسم خارطة معظم أجزاء الخط الساحلي الغربي لأفريقيا، قد تمكنوا من إيجاد طريق عبره إلى الهند. لكن بارثوليميو دياز جاء ليحل لهم هذه المعضلة.

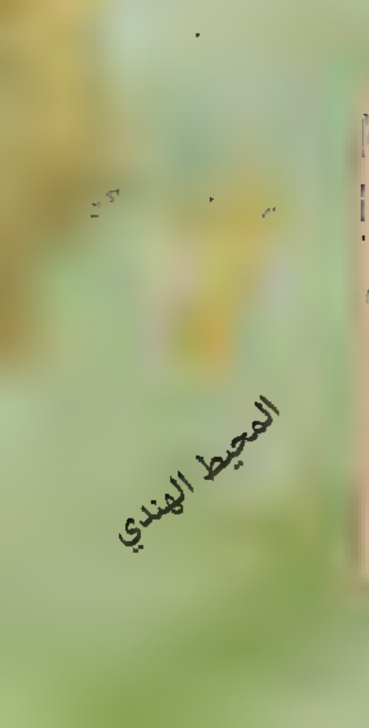

رأس الرجاء الصالح في أقصى نقطة جنوبية غربية في أفريقيا

رأس الرجاء الصالح

عندما أبحر دياز غربًا في رحلة العودة إلى دياره، لفت انتباهه موقع رأس الرجاء الصالح. ومع أن دياز كان أول من اقترح إطلاق هذا الاسم على الموقع، فإن بعض المؤرخين يدعون أن للملك خوان الثاني الفضل الأول في اختيار الاسم.

أقصى نقطة في القارة الأفريقية

عام 1487، أبحر دياز من ليشبونة بسفينتين شراعيتين سريعتين وأخرى للمؤن. ومع حلول نهاية السنة، كان قد تمكن من بلوغ رأس كروس جنوبًا. ولكن بعد اجتيازه نهر أورانج، هبت عاصفة قوية أرغمته على الاتجاه جنوبًا لمدة 113 يومًا. عندما هدأت العاصفة، اتجه شرقًا على أمل الوصول إلى اليابسة، ليجد نفسه محوطًا بالمزيد من البحار.





بارثوليميو دياز

أضاف بارثوليميو دياز (1450–1500) نحو 2016 كلم إلى طول الشريط الساحلي الأفريقي المعروف من قبل الأوروبيين. وبعد الرحلة الناجحة التي قام بها، رافق دا غاما في المرحلة الأولى من رحلته إلى الهند عام 1497. وكان أيضًا أحد القادة في أسطول بيدرو كابرال الذي اكتشف البرازيل عام 1500. توفي في وقت لاحق خلال البعثة نفسها.

نحو المحيط الهندي

انعطف دياز شمالًا ليلقي المرساة فيما يُعرف حاليًّا بخليج موسيل الواقع على بعد 320 كيلومتراً شرقي رأس الرجاء الصالح. وتقدم بعدها نحو الشرق إلى خليج الغوا ومنه إلى نهر أسماه ريو دي إينفانتي، المعروف حاليًّا بنهر غرايت فيش، حيث نصب صلبانًا خشبية. وكان دياز قد بلغ في تلك المرحلة المحيط الهندي بعد أن دار حول الرأس الجنوبي لأفريقيا. وعندما ألح عليه أفراد طاقمه بالعودة، أبحر غربًا على طول الساحل، ولم تغب صورة رأس الرجاء الصالح عن ناظريه إلا بعد أن انعطف شمالًا باتجاه المينا.



الإطار الزمني:

- 1487: دياز يبحر من ليشبونة بأسطول مؤلف من 3 سفن.
- 1488: عاصفة قوية ترغم دياز على الإبحار جنوبًا مرورًا برأس الرجاء الصالح وصولًا إلى المحيط الجنوبي.
- 1488: دخول دياز إلى المحيط الهندي.
- 1497: دياز يبحر برفقة دا غاما.
- 1500: دياز يبحر برفقة كابرال لاكتشاف البرازيل ويلقى حتفه خلال عاصفة كبيرة.

مذهل!

كان دياز أول ملاح يبحر بسفينة احتياطية مخصصة للمؤن. ترك دياز السفينة الاحتياطية في الساحل الغربي لأفريقيا، ولكن لدى عودته، تبين له أن المؤن قد تعرضت للنهب.

الطريق إلى الهند

بعد اكتشاف بارثوليميو دياز طريقًا جديدًا يؤدي إلى المحيط الهندي من خلال الدوران حول أفريقيا، نجح فاسكو دا غاما في فتح الطريق البحرية إلى الهند والشرق.

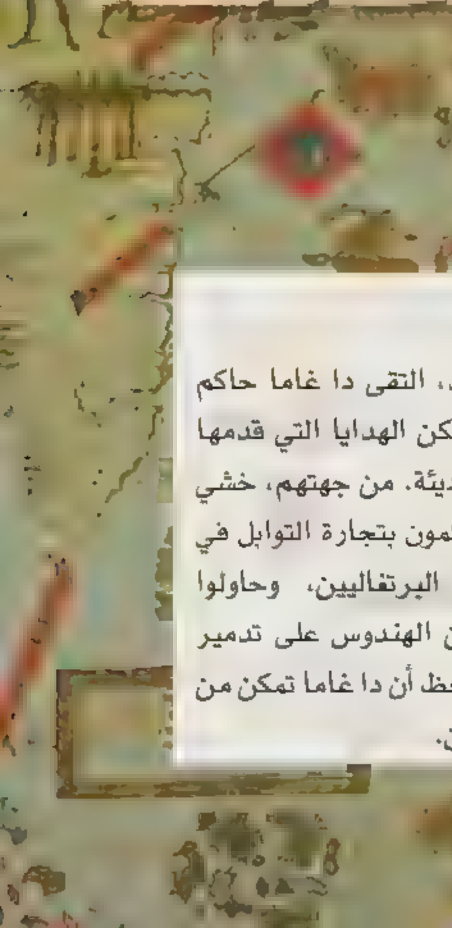


فاسكو دا غاما

كان فاسكو دا غاما (1460 – 1524) بحارًا برتغاليًّا قاسي القلب. ساهمت رحلته إلى الهند عام 1497 في فتح طريق بحري جديد إلى الشرق. بعد أن كافأه الملك مانويل الأول بجزالة وقلده لقبه أدميرال المحيط الهندي، عاد داغاما إلى الهند عام 1502 لإحكام السيطرة على تجارة التوابل.

الدوران حول الرأس

في تموز/يوليو 1497، انطلق دا غاما من ليشبونة ليتوقف في وقت لاحق من الشهر عينه في الرأس الأخضر لمدة أسبوع بكامله. توجه بعدها جنوبًا نحو الأطلسي، بعيدًا من الرياح وتحركات المد والجزر التي لا يمكن التنبؤ بها على طول الساحل الأفريقي. بعد مرور 96 يوما، وصل إلى خليج سانت هيلينا الواقع غربي الساحل الأفريقي الجنوبي، ليلتف منه حول طرف رأس الرجاء الصالح وصولا إلى المحيط الهندي ومنه صعودًا باتجاه الساحل الأفريقي الشرقي ليبلغ مومباسا وماليندي في كينيا.



خارطة برتغالية للهند تعود إلى القرن السادس عشر.



ترك دا غاما انطباعًا سيئًا عند لقائه حاكم كاليكوت

في كاليكوت

لدى وصوله إلى الهند، التقى دا غاما حاكم كاليكوت الهندوسي، لكن الهدايا التي قدمها له كانت ذات نوعية رديئة. من جهتهم، خشي المسلمون الذين يتحكمون بتجارة التوابل في المنطقة، من مطامع البرتغاليين، وحاولوا حث السكان المحليين الهندوس على تدمير أسطولهم. ولحسن الحظ أن دا غاما تمكن من الفرار قبل فوات الأوان.

رحلة الذهاب والإياب من الهند

أبحر دا غاما من ماليندي عبر المحيط الهندي متجهًا نحو الشمال الشرقي. وبفضل الرياح المواتية، تمكن من الوصول مباشرة إلى كاليكوت في جنوب الهند، حيث ألقى المرساة في أيار/مايو 1498. وإذ أنهى المهمة الموكلة إليه، غادر الهند عائدًا إلى دياره. لكن رحلة العودة كانت أكثر صعوبة بسبب معاكسة الرياح في المحيط الهندي، بحيث لم يتمكن من الوصول إلى ليشبونة إلا في أيلول/سبتمبر 1499.

أدوات الملاحة

استخدم الملاحون الأوائل إسطرلابًا أو آلة ربعية تساعد على تعيين خط العرض، لتحديد مدى بُعد السفينة شمالًا أو جنوبًا. يستخدم الإسطرلاب لقياس ارتفاع الشمس في حين أن الآلة الربعية تستخدم لقياس ارتفاع النجوم. ولم يكن من الممكن قياس خط الطول، أو مدى البعد شرقًا أو غربًا، إلا لغاية أواسط القرن الثامن عشر.



إسطرلاب بدائي، استخدم لقياس خط العرض.

الإطار الزمني:

- 1497: إبحار دا غاما من ليشبونة بأربع سفن.
- 1498: إبحاره عبر الساحل الشرقي لأفريقيا واجتيازه المحيط الهندي وصولًا إلى كاليكوت.
- 1499: وصوله إلى ليشبونة بسفينة واحدة بعد فقدانه أكثر من ثلثي طاقمه.
- 1502 1503 عودته إلى الهند لفرض سيطرة بلاده على تجارة التوابل بالقوة.
- 1524: وفاة دا غاما في الهند.

مذهل!

ساهمت بعثة دا غاما في إنشاء المستعمرات في الهند، مستعمرات بقيت في قبضة البرتغاليين لغاية عام 1961.

الرحالة والإرساليات

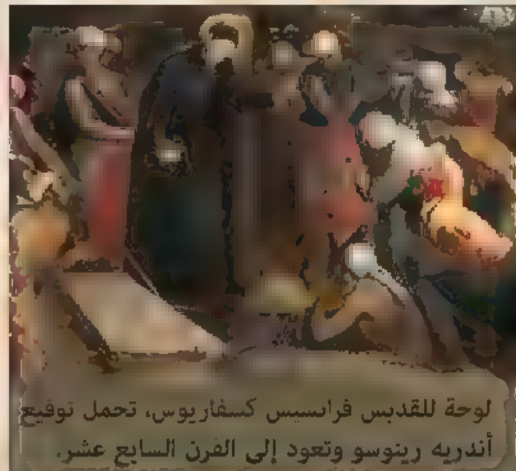
ساهمت رحلات الملاحين الأوائل في فتح طريق الخط الساحلي إلى آسيا أمام التجار الأوروبيين. غير أن المبشرين الأوروبيين تريثوا لغاية أواسط القرن السادس عشر قبل أن يباشروا باستكشاف الأجزاء الداخلية للبلاد.

الغيرة التبشيرية

أمام تصميم الرهبنة اليهودية على المساهمة في دعوة دول آسيا إلى الديانة المسيحية، كان الكاهن الإسباني فرانسيس كسفاريوس أول المبشرين. ولحقه البرتغالي بينتو دي غوز (1562 - 1607) الذي سافر عبر آسيا الوسطى إلى الصين بحثًا عن مجتمع مسيحي ضائع.

القديس فرانسيس كسفاريوس

كان فرانسيس كسفاريوس (1506-1552)، الذي ولد في كنف عائلة نبيلة من الباسك، أحد مؤسسي الرهبنة اليسوعية. أمضى سنوات طويلة في الهند وسريلانكا قبل أن يبحر إلى اليابان التي وصل إليها عام 1549. طوب قديسًا بعد نجاحه في تعميد عدد هائل من الناس لم يُعرف له مثيل منذ زمن القديس بولس.



لوحة للقديس فرانسيس كسفاريوس، تحمل توقيع أندريه رينوسو وتعود إلى القرن السابع عشر.



جثمان القديس فرانسيس كسفاريوس المعروض في جاو في الهند.

اليسوعيون

تأسست جمعية أصدقاء الرب، المعروفة أيضًا بالرهبنة اليسوعية، وهي إحدى رهبنيات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، عام 1534، على يد أغناطيوس دي لايولا بالتعاون مع ستة رهبان متدربين آخرين، بهدف دعوة المسلمين إلى الديانة المسيحية. وسرعان ما توسعت نشاطاتها لتشمل الهند والصين.



ختم جمعية أصدقاء الرب

مذهل!

توفي فرانسيس كسفاريوس على الساحل الصيني ونقل جثمانه إلى جوا، لكن ذراعه اليمنى التي كان يستخدمها لتعميد المهتدين فصلت عن جسده وأخذت إلى روما.

المدينة المحرمة

عام 1661، انطلق راهبان يسوعيان، هما الألماني جون غروبير (1623 – 1680) والبلجيكي البيرت دورفيل (1621 – 1662) بحثًا عن طريق بري بين الهند والصين تجنبًا للقراصنة الهولنديين المتربصين في بحر الصين، فعبرا جبال الهيملايا ليصبحا بالتالي أول أوروبيين تطأ أقدامهما المدينة المحرمة في لاسا في التيبت.


حيوان الياك الشائع في التيبت والقادر على التكيف مع طبيعة الحياة «على سقف الكون»

قارة غريبة

في القرن السابع عشر، لم يكن الأوروبيون على معرفة متعمقة لقارة آسيا. ولم يتمكن غروبير ودورفيل من إخفاء ذهولهما عندما استبدلا بجواديهما، مع وصولهما إلى التيبت، حيوان الياك القادر على نقل الأحمال الثقيلة.

الإطار الزمني:

- 1541 – 1552 زيارة فرانسيس كسفاريوس الهند، سريلانكا، الصين واليابان لدعوة الناس إلى المسيحية.
- 1602 1607 بينتو دي غوز يبحث عن المجتمع المسيحي الضائع الذي يُعتقد أنه موجود بين الصين والهند.
- 1624 1626 أنطونيو دي أندرادي هو أول أوروبي يعبر جبال الهيملايا.
- 1661 غروبير ودورفيل يسافران من الصين إلى الهند مرورًا بالتيبت.

في سيبيريا

في القرن السابع عشر، وسعت الإمبراطورية الروسية حدودها شرقًا، عبر سيبيريا، وصولًا إلى المحيط الأطلسي. ولما لم يكن القيصر الروسي بيتر العظيم يعرف الكثير عن مملكته الجديدة، قرر أن يسبر أغوارها.

نحو الشرق

عام 1724، عين بيتر فيتوس بيرينغ رئيس بعثة استكشافية إلى سيبيريا. كانت مهمته تقتضي السفر برًّا إلى ساحل شبه جزيرة كامتشاتكا في شرقي سيبيريا. وأبحر بعدها شمالًا لاكتشاف النقطة حيث تتصل كل من سيبيريا وقارة آسيا بأميركا الشمالية.



بيتر العظيم

نجح بيتر العظيم (الذي حكم ما بين عامي 1682 و1725) في تحويل بلاده إلى دولة قوية. عام 1697، سافر إلى أوروبا للاطلاع عن كثب على كيفية بناء السفن، وعاد بعدها إلى بلاده ليبني أسطولًا عظيمًا. نقل العاصمة الوطنية إلى سانت بيترسبرغ وهزم السويد ليتمكن من الحصول على منفذ على البلطيق.



فيتوس بيرينغ

ولد فيتوس بيرينغ (1681 – 1741) في الدانمرك، وكان من بين المئات من سكان أوروبا الغربية الذين جندهم بيتر العظيم لتطوير بلاده المتخلفة. تميز بيرينغ بمهاراته في التنظيم بحيث نجح في تنظيم بعثتين استكشافيتين واسعتي النطاق إلى أماكن نائية جدًّا على الكرة الأرضية.

الإطار الزمني:

- 1724: فيتوس بيرينغ يترأس بعثة استكشافية إلى سيبيريا.
- 1727: وصول بيرينغ وفريقه إلى أوخوتسك على الساحل السيبيري .
- 1728: بعد عبوره كامشاتكا، أبحر شمالًا ليعود ويتجه جنوبًا بعد مرور شهر تقريبًا.
- 1729: بيرينغ يعيد رسم الطريق الذي سلكه عبر سيبيريا.
- 1730: لدى عودته إلى سانت بيترسبرغ، فشل بيرينغ في إقناع الجميع بأنه أنجز مهمته.

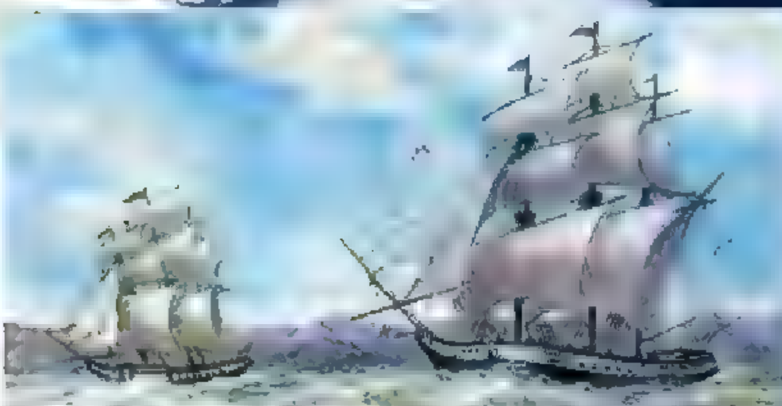
النجاح المشروط

عام 1728، أبحر بيرينغ شمالي ساحل سيبيريا الباسفيكي باتجاه المضيق الذي يفصل سيبيريا عن ألاسكا، ويحمل حاليًّا اسمه. ومع أن الضباب الكثيف منعه من رؤية اليابسة، فإنه كان مقتنعًا بأن القارتين غير متصلتين. لكن السلطات في سانت بيترسبرغ لم تقتنع بذلك وطلبت منه العودة من جديد.

ماذا بعد؟

أنشأ المستوطنون الروس أول مستوطنة لهم في ألاسكا عام 1784. لكن الروس تنازلوا عام 1867 عن ألاسكا للولايات المتحدة مقابل 7.2 ملايين دولار أميركي.





سفينتا القديس بطرس والقديس بولس

سفن بيرينغ

كان بيرينغ ماهرًا في بناء السفن بحيث بنى على مرحلتين، سفنًا صغيرة للإبحار من أوخوتسك إلى كامشاتكا، وبنى في وقت لاحق ثلاث سفن بحرية لاكتشاف المضيق الذي يفصل قارة آسيا عن أميركا الشمالية، وهي سفينة القديس جبرائيل التي استخدمها في بعثته الأولى، وسفينتا القديس بطرس والقديس بولس اللتان استخدمهما في البعثة الثانية.

على طريق الحرير

مذهل!

لم يكن يُسمح للغرباء بدخول مدينة لاسا المحرمة في التيبت. فتنكر سيفين هيدين في زي كاهن، إلا إن حيلته انكشفت قبل دخوله المدينة.

مع حلول القرن التاسع عشر، كان الأوروبيون قد تمكنوا من جمع معلومات وافية عن قارة آسيا، إلا أن المنطقة الوسطى من القارة القائمة بين الإمبراطورية الروسية، والصينية والهند البريطانية بقيت مجهولة. كما ظل التيبت أرضا محرمة، في حين أن طريق الحرير الذي اكتسب شهرة واسعة في الماضي، قد فقد أهميته.



عبور الصحراء

عام 1890، انطلق المستكشف السويدي سيفين هيدين في رحلته الاستكشافية الأولى من الرحلات الملحمية الأربع التي قام بها. فتمكن على مدى 45 سنة، من رسم خارطة أجزاء كبيرة من آسيا الوسطى، سابرًا أغوار طريق الحرير وعابرا صحراء تكلامكان وغوبي الشاسعتين في غربي الصين ومانغوليا. ولم يخفق هيدين في أي من المهمات التي أخذها على عاتقه الا في محاولته عام 1901 دخول المدينة لاسا المحرمة في التيبت وفشله في ذلك.

سيفين هيدين



سفين هيدين، في الوسط، ممسكًا بإحدى خرائطه

كان المستكشف السويدي سيفين هيدين (1865 – 1952) لغويًا على قدر عال من الكفاءة. فعمل كدبلوماسي ومترجم لدى الحكومة السويدية التي مولت اثنتين من رحلاته الاستكشافية. وخلال الرحلة الأخيرة، ما بين عامي 1933 و1935، أنجز رسم خارطة مفصلة لطريق الحرير القديم نزولًا عند طلب الحكومة الصينية.

الإطار الزمني:

- 1890: سيفين هيدين ينطلق في الرحلة الأولى من رحلاته الاستكشافية الأربع.
- 1899 1902: هيدين يكتشف مدينة لولان القديمة في صحراء تكلامكان.
- 1900 1902: أوريل ستاين يستكشف صحراء تكلامكان.
- 1906 1908: هيدين يكتشف منبع كل من نهر السند ونهر براهمابوترا.
- 1907: أوريل ستاين يعثر على السوترا الماسية.
- 1933 1935: هيدين يرسم خارطة طريق الحرير.



مدرسة طيلا كاري في سمرقند، التي زارها ستاين عام 1914

عالم الآثار الجسور

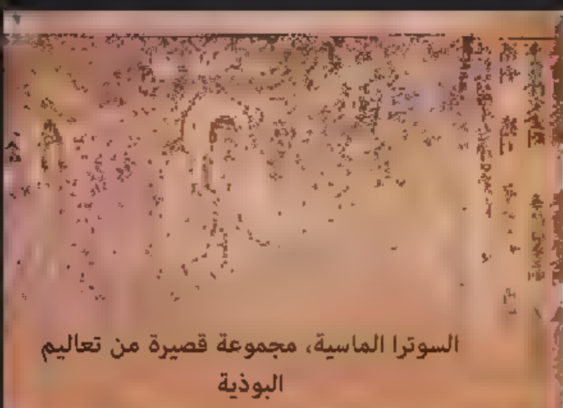
كان السير مارك أوريل ستاين عالم آثار مجريًا، لكنه حصل على الجنسية البريطانية. ترأس أربع رحلات استكشافية إلى آسيا الوسطى بعد عام 1900، بحيث قطع أكثر من 40 ألف كيلومتر وجمع عددًا كبيرًا من القطع الأثرية والمخطوطات

لص أم هاوي جمع؟

انطلق عالم الآثار البريطاني سير مارك أوريل ستاين في رحلة استكشافية للطرف الصيني لطريق الحرير، مستمدًا الإلهام من هيدين، وذلك بحثًا عن وثائق قديمة طلبت منه الحكومة البريطانية إحضارها لإجراء بحوث عليها. وعلى الرغم من أهمية الاستكشافات التي توصل إليها ستاين فإن الكثيرين انتقدوا أسلوبه في العمل، بحيث أسماه الصينيون «الشيطان الأجنبي» الذي سرق إرثهم الأثري.

السوترا الماسية

عام 1907، اكتشف أوريل ستاين 40 ألف لفيفة في كهوف موغاو في دونهوانغ غربي الصين، ومن بينها السوترا الماسية، أو أقدم كتاب مطبوع عرفته البشرية ويعود إلى عام 868 ق. م.



السوترا الماسية، مجموعة قصيرة من تعاليم البوذية

الربع الخالي

خلال القرن الماضي، تم استكشاف معظم أجزاء العالم، والتعرف إلى شعوبه ووصف ثقافاته. غير أن رحالة العصر الحديث سعوا للوصول إلى المناطق التي يصعب الوصول إليها حيث تعيش شعوب نائية ومكتفية ذاتيًا.

عبور الصحراء

تُعرف الصحراء التي تحتل جنوب شرق شبه الجزيرة العربية بالربع الخالي لكونها شبه خالية من الطرق، والبشر والحيوانات. كانت أول رحلة موثقة لرحالة غربي إلى الربع الخالي تلك التي قام بها برترام توماس عام 1930-1931. وفي كتابه العربية السعيدة (1932)، وصف برترام شعب الصحراء وثقافتهم.

برترام توماس

كان برترام توماس (1892 – 1950) موظفًا مدنيًّا بريطاني الجنسية، وشغل لاحقًا منصب وزير المالية لسلطان عمان. فقام بعدد كبير من الرحلات الاستكشافية إلى الصحراء كجزء من مهماته الرسمية.


مجموعة من البدو سافر توماس برفقتهم


ويلفريد تيسيجر مسافرًا عبر شبه الجزيرة العربية برفقة مجموعة من البدو

الإطار الزمني:

- 1925 – 1932: تعيين برترام توماس في منصب وزير المالية لسلطان عمان.
- 1930 – 1931: عبور توماس برترام الربع الخالي.
- 1945 – 1949: رحلة ويلفريد تيسيجر حول الربع الخالي، ورسمه خارطة واحة ليوا والرمال المتحركة في أم السميم.
- 1951 – 1958: إقامة تيسيجر مع عرب الأهوار في العراق .

ويلفريد تيسيجر

ولد ويلفريد تيسيجر (1910 – 2003) من أب بريطاني يعمل في السلك الدبلوماسي في أديس أبابا، عاصمة أثيوبيا. أمضى القسم الأكبر من حياته في الترحال، وأصبح في الثلاثينيات، أول رجل أوروبي يستكشف المناطق الواقعة شمالي أثيوبيا. كثف بعدها رحلاته إلى المملكة العربية السعودية، والعراق وكينيا.


التقط تيسيجر الآلاف من الصور مستخدمًا آلة تصوير من نوع لايكا 2، شبيهة بهذه

الهائم

وصف ويلفريد تيسيجر نفسه بأنه يتمتع «بقوة داخلية لا تقاوم» تحثه على أن يطوف في صحارى العالم، مكيفًا نفسه مع نمط عيش سكانها. حملته رحلاته إلى قارة أفريقيا، وجبال آسيا الوسطى وصحراء شبه الجزيرة العربية. ما بين عامي 1945 و1949، تمكن تيسيجر من سبر أغوار أجزاء الربع الخالي كافة، وأعرب عن إعجابه بشكل خاص، بطريقة عيش البدو.



تعد القوارب المصنوعة من القصب وسيلة النقل الأساسية التي يستخدمها عرب الأهوار.



عرب الأهوار

عرب الأهوار هم العرب الذين يقطنون جزر الأهوار في جنوب العراق، ويعتمدون على تربية الجواميس، والزراعة وحياكة القصب. تتميز هذه المنطقة بكونها منعزلة عن باقي المناطق العراقية وتؤمن خير ملاذ للعبيد الفارين.

ماذا بعد؟

في التسعينيات، أراد صدام حسين، الذي كان آنذاك حاكم العراق المطلق، تجفيف الأهوار لطرد العرب منها. لم يتبقَّ حاليًا سوى بضعة آلاف من السكان الأصليين الذين كان عددهم يناهز النصف مليون نسمة.

نساء جسورات

إن معظم المستكشفين الذين عرفهم العالم كانوا من الرجال فحسب، نظرًا إلى أن المرأة كانت تفتقر إلى حرية السفر بمفردها. لكن القرن العشرين شهد بروز امرأتين في حقل الرحلات الاستكشافية.

مذهل!

قبل سفر غيرترود إلى وسط شبه الجزيرة العربية عام 1913، كان عليها أن توقع على رسالة تُعفي من خلال الحكومة المحلية من أي مسؤولية في حال تورطها في أي مشكلة.

الإطار الزمني:

- 1899: جولة غيرترود بيل في فلسطين وسوريا.
- 1909: زيارة بيل الأولى لبلاد ما بين النهرين (العراق حاليًا).
- 1913-1914: رحلة بيل من سوريا إلى العراق وصولًا إلى شبه الجزيرة العربية.
- 1916 - 1926: مساهمة بيل في إنشاء دولة العراق الجديدة .
- 1927 - 1928: رحلة فريا ستارك عبر شبه الجزيرة العربية.
- 1928 - 1932: تنظيم فريا ستارك رحلات مكثفة حول دول الشرق الأوسط بعد انتقالها للإقامة في بغداد.
- 1933 - 1939: ستارك تسافر بمفردها إلى شبه الجزيرة العربية .

تعيين الحدود

عام 1905، قامت غيرترود بيل بأول رحلة استكشافية إلى الصحراء السورية. وكادت تخسر حياتها خلال رحلتها الاستكشافية الثانية إلى آسيا الوسطى عام 1913. وبدءًا من عام 1916 ولغاية وفاتها عام 1926، عملت غيرترود لصالح الحكومة البريطانية وساهمت في بناء دولة العراق الجديدة.



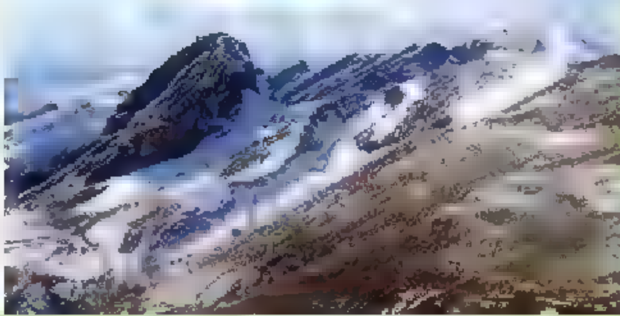
غيرترود بيل

زارت غيرترود بيل (1868-1926) إيران للمرة الأولى عام 1892، لمّا كان عمها موظفًا في السفارة البريطانية. فوقعت في حب ثقافتهم، وكرست معظم سنوات حياتها، مع بلوغها سن الرشد، لدراسة منطقة الشرق الأوسط.

الرحالة الكاتبة

تميزت فريا ستارك (1893 – 1993) بميلها إلى السفر بمفردها إلى الأماكن النائية والوعرة. تعلمت العربية عام 1927 وسافرت إلى شبه الجزيرة العربية حيث كانت تتنقل برفقة البدو. ألفت كتابًا عن رحلاتها التي لا تعد ولا تحصى، وكتبت تقول « ذلك الإحساس الممتع الذي يخالجني عندما أستيقظ وحيدة في الصباح في مدينة غريبة عني، لا يضاهى على الإطلاق»

جبال البروز الشاهقة في إيران، التي عبرتها ستارك للوصول إلى قصر الحشاشين في ألموت.





رحالة وحيدة

كانت فريا ستارك مفتونة بطائفة الحشاشين، وهي طائفة إسلامية ظهرت في القرون الوسطى وزرعت الرعب بين الناس، بحيث نفذ أتباعها الكثير من المهمات الجريئة لقتل أعدائهم، وأطلق عليهم بالتالي، اسم أساسان أو القتلة باللغة الفرنسية. عام 1930، زارت ستارك قصر الحشاشين القائم في ألموت شمالي بلاد فارس (إيران حاليًا)، وعادت بعد سنة لرسم خارطة للمنطقة. وفي السنوات اللاحقة، قامت ستارك برحلات متعددة حول شبه الجزيرة العربية واستمرت في تنظيم البعثات الاستكشافية لمنطقة الشرق الأوسط لغاية الخمسينيات.



طريق جديد إلى آسيا

بعد عام 1453، أُقفل الطريق البرّي المؤدي من أوروبا إلى آسيا، عبر طريق الحرير. غير أن البرتغاليين واصلوا رحلاتهم الاستكشافية للساحل الأفريقي بحثًا عن طريق بحري يمكن أن يقودهم إلى قارة آسيا، من خلال الإبحار شرقًا. من جهته، كان كريستوفر كولومبوس يؤمن بأنه من الممكن الوصول إلى قارة آسيا، إذا ما كانت وجهة الإبحار نحو الغرب، وذلك لأن الأرض كروية. ولكن بعد اكتشافه قارة جديدة بدلًا من الوصول إلى آسيا، بدأ المستكشفون بالبحث عن طريق جديد من خلال الدوران حول رأس أميركا أو سيبيريا.



رحلة كولومبوس الأولى

كان الرحالة الإيطالي كريستوفر كولومبوس يحلم بالإبحار من أوروبا في اتجاه الغرب للوصول إلى سيباجو (اليابان). عام 1491، وافقت الملكية الإسبانية، الممثلة بالملك فرديناند والملكة إيزابيل، على تمويل رحلته.

لغز محير!

ألقى كولومبوس المرساة في جزيرة أطلق عليها اسم سان سلفادور. اقترح المؤرخون تسعة أماكن محتملة في الباهامس، لكن أحدًا لم يتمكن من تحديد المكان الذي وصل إليه كولومبوس.

الأسطول

في الثالث من آب/أغسطس 1492، أبحر كولومبوس من مرفأ بيلوس في إسبانيا بثلاث سفن: سفينة الشحن سانتا ماريا المزودة بثلاث سوار، سفينة نينا وهي من نوع كارافيل مزودة بثلاث سوار، وسفينة بينتا وهي من نوع كارافيل مزودة بأربع سوار. بعد توقف قصير في جزر الكناري، انطلق الأسطول من جديد في السادس من أيلول/ سبتمبر.



أسطول كولومبوس الأول المؤلف من سفينة نياي، وسانتا ماريا (في الوسط) وبينتا



كولومبوس

ولد كريستوفر كولومبوس (1451 – 1506) في مدينة جنوى في إيطاليا. واللافت هو أنه لا تتوافر معلومات وافية عن المراحل الأولى من حياته. عام 1476، انتقل كولومبوس للعيش في ليشبونة حيث تزوج من سيدة برتغالية من النبلاء. توفي في إسبانيا عام 1506.

اكتشافات جديدة



ثمرة الأناناس، وهي إحدى الثمار الكثيرة الجديدة التي تذوقها كولومبوس.

لم يعثر كولومبوس على مناجم ذهب أو مدن تجارية غنية في الأرض التي ظن أنها تابعة لقارة آسيا، لكنه تعرف وأفراد طاقمه على مأكولات جديدة كالأناناس، والبطاطس والذرة. كما شاهد الأرواك وهم يدخنون أوراق التبغ في غليون.

عالم جديد



في ليل 12 تشرين الأول/ أكتوبر، شاهد برج المراقبة في سفينة بينتا اليابسة. فنزل كولومبوس وطاقمه على الجزيرة التي أطلقوا عليها اسم سان سلفادور وطالبوا بها أرضًا إسبانية. كان كولومبوس مقتنعًا بأنه وصل إلى الساحل الغربي للهند، لذا أسمى تلك الجزر، جزر الهند الغربية. لكنه لم يكن يدرك أنه اكتشف قارة جديدة لم يكن الأوروبيون على علم بوجودها بعد.

الإطار الزمني:

- 3 آب/أغسطس 1492: إبحار كولومبوس من مرفأ بيلوس في إسبانيا بثلاث سفن وطاقم مؤلف من 85 بحارًا.
- 12 تشرين الأول/ أكتوبر: رؤية اليابسة عند الساعة الثانية فجرًا.
- 28 تشرين الأول/ أكتوبر: وصول كولومبوس إلى كوبا وإبحاره على طول الساحل قبل وصوله إلى هيسبانيولا.
- 25 كانون الأول/ ديسمبر: خلال استكشاف الخط الساحلي لهيسبانيولا، جنحت سفينة سانتا ماريا وتم التخلي عنها.
- 16 كانون الثاني/ يناير 1493: بعد إنشاء مستعمرة فيما يُعرف اليوم بهايتي، عاد كولومبوس إلى إسبانيا.

الأرواك

في سان سالفادور، أجرى كولومبوس تبادلات تجارية مع سكان الجزيرة الأصليين أو الأرواك، بحيث قايض الخرز الزجاجي بالببغاء وأوراق الشجر الجافة المعروفة بالتبغ. وبعد أن أخبره الأرواك عن ملك في الجنوب يملك الكثير من الذهب، قرر كولومبوس السفر للبحث عنه. ولكن سرعان ما لقي الأرواك نحبهم بفعل أمراض حملها إليهم الأوروبيون، أمراض تنقصهم المناعة عليها.



موسيقيو الأرواك يعزفون ويرقصون في آن

تسمية القارة

كان كولومبوس مقتنعًا كل الاقتناع بأنه أبحر باتجاه الجزر الهندية أو قارة آسيا، غير أن هناك من اختلف معه في الرأي لأن الأرض التي اكتشفها كانت أقرب إلى أوروبا منها إلى آسيا. والواقع أنها قارة جديدة لم يكن الأوروبيون على علم بوجودها من قبل.

الخارطة التي وضعها ميركاتور عام 1538، بحيث كان أول من أسمى الأميركتين. وتظهر فيها كل من أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية مع المحيط الأطلسي إلى الشرق والمحيط الباسيفيكي إلى الشرق.

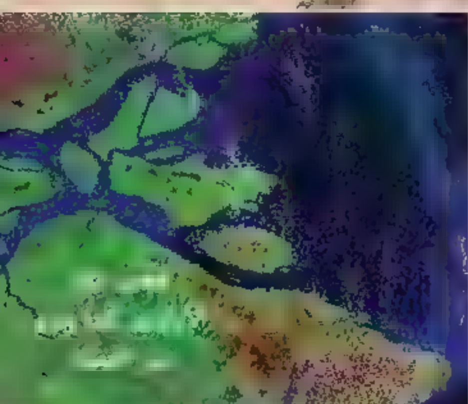
ماذا بعد!

كان الرهبان الإيرلنديون والبحارة يستخدمون مصطلح أراضي البرتغال في هذه القارة الجديدة، إلى أن أطلق على هذه الأرض الأسطورية تسمية «البرازيل».



أرض أمريكو

ما بين عامي 1501 و1502، أبحر فيسبوتشي في رحلته الثانية باتجاه الساحل الشرقي لأميركا الجنوبية. كان مقتنعًا كل الاقتناع بأنه وصل إلى قارة جديدة، فأطلق عليها اسم العالم الجديد. لقيت القصص التي رواها عن رحلاته شعبية واسعة، وعُرف العالم الجديد الذي اكتشفه بأرض أمريكو أو أميركا (استعمل هذا الاسم في بادئ الأمر للدلالة على أميركا الجنوبية فحسب).



الأمازون:

مع إبحار فينسينت بينزون في الاتجاه الشمالي الشرقي، على طول الساحل البرازيلي، لاحظ أن المياه قد تغير لونها ولم تعد مالحة. فسجل بالتالي اكتشافه لمصب نهر الأمازون العظيم.

من وصل أولاً؟

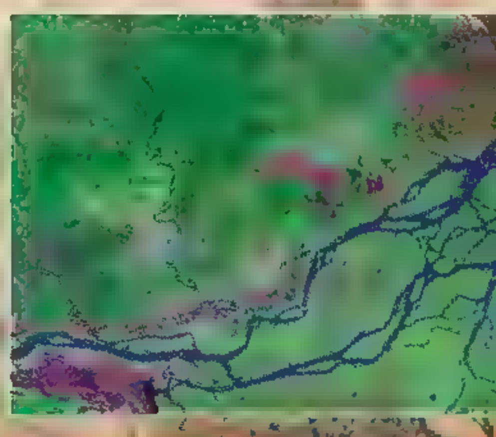
ما بين عامي 1499 و 1500، أبحر أربعة أوروبيين باتجاه أميركا الجنوبية. وعلى الرغم من صعوبة تحديد من منهم وصل أولًا، يعزو بعض المؤرخين ذلك إلى بيدرو كابرال الذي رأى البرازيل في 22 نيسان/أبريل 1500. ويُعتقد أن فينسينت بينزون وصل إلى شمالي شرقي البرازيل في كانون الثاني/يناير 1500. وخلال رحلته الاستكشافية الثالثة، اكتشف ألونسو دي أوخيدا الساحل الكاريبي، في حين أن أمريكو فيسبوتشي أبحر على طول الساحل متوغلًا نحو الشرق.

الإطار الزمني

- 1499 - 1500: إبحار أوخيدا على طول الساحل الكاريبي؛ اكتشاف فيسبوتشي شرقي البرازيل.
- 1500: رسو فينسينت بينزون و بيدرو كابرال في البرازيل.
- 1501 - 1502: رحلة فيسبوتشي الثانية وتوغله جنوبيًا وصولًا إلى باتاغونيا فيما يُعرف حاليًا بالأرجنتين.

أمريكو فيسبوتشي

ولد أمريكو فيسبوتشي (1451 - 1512) في فلورنسا بشمال إيطاليا. عام 1491، انتقل أمريكو إلى أشبيلية في إسبانيا، وعام 1499، انضم إلى الرحلة الاستكشافية التي يترأسها ألونسو دي أوخيدا (1468 - 1515)



مكتشف البرازيل:

اكتشف بيدرو كابرال (1467 - 1520) البرازيل، عن طريق الصدفة، في نيسان/أبريل 1500. وسواء كان الأوروبي الأول الذي وصل إلى تلك الأرض أم لا، فإن البرازيليين يحتفلون بذكرى كابرال لكونه مكتشف بلادهم.



سفينة كارافيل الخاصة بكابرال

البحث عن الممر الشمالي الغربي

مع انتصاف القرن السادس عشر، أدرك المستكشفون الأوروبيون أن القارة الأميركية تسد الطريق البحري الغربي الذي يصل أوروبا بآسيا. فسعى البريطانيون جهدهم للإبحار عبر الطرف الأقصى للممر الشمالي الغربي.

من المحيط إلى المحيط

يمتد الممر الشمالي الغربي من شمالي الأطلسي، مرورًا بكندا وغرينلاند، وصولاً إلى المحيط المتجمد الشمالي. ويشق بعدها طريقه بشكل متعرج عبر جزر شمال كندا قبل أن يدور حول الألسكا وصولاً إلى بحر بيرينغ في شمالي الأطلسي. لكن المشكلة الأساسية هي أن هذا الطريق يكون متجمدًا في معظم أيام السنة.



مارتن فروبيشر

أبحر المغامر الإنكليزي مارتن فروبيشر (1539 - 1594) للمرة الأولى في سن الثالثة عشرة. وكانت رحلته الأولى عبارة عن بعثة تجارية إلى غينيا في قارة أفريقيا. ولكن سرعان ما تمكن من جمع ثروة طائلة بفعل أعمال القرصنة التي كان يمارسها على السفن الإسبانية والفرنسية.

رهينة سيئة الحظ

تعرف فروبيشر على شعب الأنويت المحليين فيما يُعرف حاليًا بخليج فروبيشر. وبعد اختفاء خمسة من أفراد طاقمه، اتهم السكان الأصليين بخطفهم وقام بأسر أحد أبناء قومهم لمقايضته. ولمّا لم يجدِ ذلك نفعًا، أعاد الرهينة وزورقه معه إلى إنكلترا. ولسوء الحظ، لم يتمكن الرهينة الأنويت من مقاومة الزكام، فلقي نحبه.



مواطن من الأنويت يصطاد الفقمة في زورقه

ماذا بعد ؟؟

عام 1585، أبحر المستكشف الإنكليزي جون دايفيس في الرحلة الأولى، من الرحلات الثلاث التي قام بها، لاستكشاف الممر الشمالي الشرقي. وكان قراره حاسمًا لجهة عدم وجود أي ممرات في ذلك الاتجاه.

الذهب الكاذب

نقل فروبيشر الصخور المتلألئة التي عثر عليها إلى إنكلترا، وأنشأ شركة لاستثمار المعدن. وكم كانت خيبته عظيمة حين اكتشف أن الذهب هو في الواقع معدن أصفر لماع يُعرف بالبيريت، أو الذهب الكاذب. ما أدى إلى إفلاس شركته وانهيارها.



يُستخدم الذهب الكاذب، الذي يتكون من معدن الكبريت، في صناعة حمض الكبريتيك

غلطة رعناء

عام 1576، أبحر مارتن فروبيشر من إنكلترا مرورًا بإيسلندا وغرينلاند ومضيق دايفيس، وصولًا إلى جنوب جزيرة بافين، حيث عثر على خليج، سُمي لاحقًا خليج فروبيشر، يقيم حوله شعب الأنويت، الذي ظن أنهم من الصينيين. وقد اكتشف فروبيشر في ذلك المكان صخورًا صفراء متلألئة، فاختلط عليه الأمر وظنها ذهبًا. ما دفعه إلى التخلي عما كان يبحث عنه، وتحميل سفينته بالصخور والعودة أدراجه، ظنًّا منه أنه ألقى المرساة في قارة آسيا الغنية بالثروات.



An Inuit igloo near Frobisher Bay.

الإطار الزمني:

- حزيران/يونيو 1576: فروبيشر يغادر جزر شتلاند.
- تموز/يوليو 1576: هبوب عاصفة في غرينلاند وتعرض سفينته لخطر الغرق.
- 11 آب/أغسطس 1576: وصوله إلى جزيرة بافين؛ أسره أحد أبناء الأنويت وأخذه رهينة
- آب/أغسطس 1576: عودته إلى إنكلترا.
- 1577: إبحاره إلى خليج فروبيشر من جديد وعودته منه محملًا ب 200 طن من الذهب.
- 1578: قيادته أسطولًا مؤلفًا من 15 سفينة عبر غرينلاند وعثوره على المضيق المؤدي إلى خليج هودسون.

الحملة الاستكشافية المهلكة

استمر البحث عن الممر الشمالي الغربي الذي يصل أوروبا بآسيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لكن الجليد المحيط بأرخبيل القطب الشمالي يبقى صامدًا طوال أيام السنة. فقررت البحرية البريطانية عام 1854، إرسال بعثة استكشافية رئيسية لتسوية هذه المسألة.



جون فرانكلين

كان السير جون فرانكلين (1786 - 1847) قد تجاوز سن التقاعد عندما ترأس الحملة الاستكشافية إلى القطب الشمالي. إلا أنه كان يتمتع بخبرة واسعة، ومؤهلات تخوله قيادة بعثة استكشافية بهذا الحجم، ولاسيما أنه شارك في رحلتين سابقتين إلى القطب الشمالي.

الجليد المتجمد

ترأس البعثة الاستكشافية المستكشف المحنك سير جون فرانلكين. فأبحر أسطوله عبر خليج بافين الواقع بين غرينلاند وكندا، ثم اتجه غربًا عبر مضيق لانكاستر القائم عند طرف جزيرة بافين. إلا أن السفن علقت في الجليد، ولم يجد الطاقم مفرًّا من إمضاء فصل الشتاء في ذلك المكان.



أفراد طاقم فرانكلين يحاولون تحرير سفنهم من الجليد

الإطار الزمني:

- أيار/ مايو 1845: مغادرة بعثة فرانكلين إنكلترا.
- 1846 1847: الجليد يحاصر البعثة في جزيرة الملك ويليام ويرغمها على إمضاء فصل شتاء آخر في القطب الشمالي.
- 1847: وفاة فرانكلين.
- 1848: توجُه أفراد البعثة الباقين جنوبًا سيرًا على الأقدام ووفاتهم خلال الرحلة.

جزيرة الملك ويليام

عام 1857، قاد فرانسيس ماكلينتوك فرقة البحث عن فرانكلين على متن سفينة فوكس. ولقد عثروا في جزيرة الملك ويليام على صفيحة أسطوانية مدفونة تحت كومة من الحجارة، وفي داخلها وثيقة تشرح ما حصل لفرانكلين وطاقمه.



حيوان الرنة، مصدر اللحمة الأساسي في الصيف، في جزيرة الملك ويليام

ماذا بعد؟

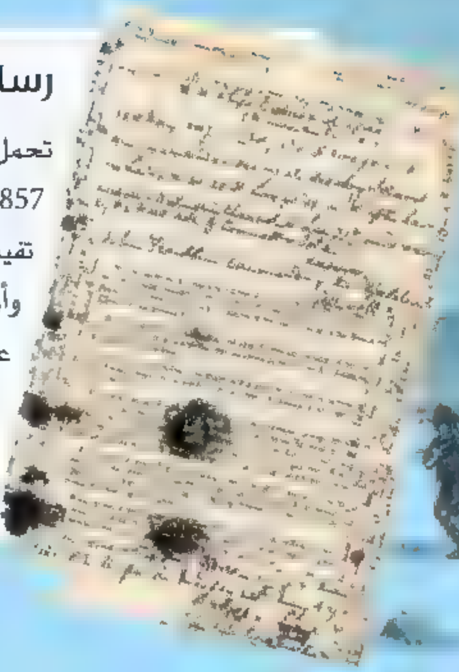
تم إرسال أكثر من 40 بعثة استكشافية للبحث عن فرانكلين. وفاق عدد الرجال الذين فقدوا مع سفنهم خلال البحث عنه عدد الرجال الذين شاركوا في البعثة.

الموت على الجليد

في العام التالي، توجهت البعثة جنوبًا لتجنب السرب الجليدي، وتمكنت في نهاية المطاف من الوصول إلى بقعة من المياه الجارية قرب جزيرة الملك ويليام. غير أن السرب الجليدي عاد ليحاصر الأسطول من جديد، فاضطر فرانكلين وأفراد طاقمه إلى إمضاء فصل شتاء آخر في القطب الشمالي. غير أنهم لم يتمكنوا هذه المرة من البقاء، فقضوا نحبهم الواحد تلو الآخر بفعل التعرض للبرد.

رسالة فرانكلين الأخيرة

تحمل هذه الرسالة، التي عثر عليها فريق البحث عام 1857، توقيع ضابطين من مجموعة فرانكلين. وهي تفيد أن فرانكلين توفي في 11 حزيران/يونيو 1847، وأن أفراد البعثة، الذين حوصرت سفينتهم بالجليد على مدى سنة بكاملها، تخلوا عنهما، ولمّا حاولوا الوصول إلى بر الأمان من خلال السفر برًّا في اتجاه الجنوب، عام 1848. لم يتمكن أي منهم من النجاة من هذه الرحلة.



ارتقاء سلم النجاح

ساهمت بعثات الإنقاذ الكثيرة التي أُرسلت للبحث عن فرانكلين في جمع معلومات وافية لوضع خارطة الممر الشمالي الغربي برمّته. افتتحت قناة السويس عام 1869، متيحة للسفن السفر بشكل أسرع ما بين آسيا وأوروبا. غير أن الوضع كان يتطلب مهارات شخص واحد لفتح الممر الشمالي الغربي.



روال أمندسون

مع بلوغه الخامسة عشرة من عمره، قرر روال أمندسون (1872 - 1928) أن يصبح مستكشفًا للمناطق القطبية. كان أول من أبحر عبر الممر الشمالي الغربي وأول من وصل إلى القطب الجنوبي.

على خطى فرانكلين

عام 1903، قرر المستكشف النرويجي روال أمندسون الإبحار عبر الممر ليثبت للجميع أن ذلك ممكن. فأبحر برفقة طاقم لا يتجاوز عدد أفراده الستة، مع الحرص على التزود بمؤن تكفي لخمس سنوات. فسلك الطريق التي سلكها سير فرانكلين من قبله، وأقام في أحد المعسكرات التي أقام فيها. واضطر أفراد الطاقم إلى إمضاء فصلي شتاء في جزيرة الملك ويليام قبل متابعة طريقهم من جديد في آب/أغطس 1905.

زلاجة خاصة بالإنويت تجرها كلاب الهسكي؛ إنها إحدى وسائل النقل المحلية التي أدرك أمندسون أهميتها



تلقّي العون من السكان المحليين

خلال فصول الشتاء الثلاثة التي أمضوها في القطب الشمالي، تعلم أمندسون وأفراد طاقمه أشياء كثيرة من شعوب الإنويت المحلية. وشملت الدروس كيفية التحكم بالزلاجات التي تجرها الكلاب، وكيفية التقاط الأسماك وغيرها من الأطعمة، والأهم من ذلك كله كيفية البقاء في هذا الطقس الشديد البرودة. خلال الشتاء الثالث، تلقّى أفراد الطاقم مساعدة من صيادي الحيتان الأميركيين.

الإطار الزمني:

- حزيران/ يونيو 1903: إبحار أمندسون من أوسلو على متن مركب جوا .
- آب/ أغسطس 1903: وصوله إلى معسكر فرانكلين بعيدًا من خليج إيربوس .
- أيلول/ سبتمبر 1903: إنشاؤه معسكرًا على جزيرة الملك ويليام حيث أمضى فصل الشتاء فيها على مدى سنتين متتاليتين.
- آب/ أغسطس 1905: إبحاره شرقًا باتجاه بحر بيوفورت .
- أيلول/ سبتمبر 1905: إمضاؤه فصل شتاء آخر في القطب الشمالي بعد محاصرته بالجليد
- تشرين الأول/أكتوبر 1906: وصول مركب جوا إلى سان فرانسيسكو بعد تحرره من الجليد .

الصبر مفتاح الفرج

مع إبحار أمندسون بين جزيرة الملك ويليام والبر الرئيسي باتجاه بحر بارنتس، التقى سفينة قادمة من مضيق بيرينغ ومتوجهة نحوه. ومع أن النجاح كان على مسافة قريبة جدًّا منه، فإن الجليد حاصره من جديد واضطر أفراد الطاقم لإمضاء الشتاء، للسنة الثالثة على التوالي، في القطب الشمالي. في السنة التالية، أبحر أمندسون من جديد ووصل إلى سان فرانسيسكو حيث رحبوا به ترحيب الأبطال، لكونه نجح في فتح الممر الشمالي الغربي الذي يصل الأطلسي بالمحيط الهادئ.



مركب الصيد النرويجي «جوا» الذي يستخدمه أمندسون، بعد تحويله، في الإبحار عبر المحيط المتجمد الشمالي.

المحيط المتجمد الشمالي

إن الطبقة الجليدية التي تغطي معظم أجزاء المحيط المتجمد الشمالي تصبح أكثر كثافة في الشتاء لتعود وتنحسر في فصل الصيف. لكن النظرية القديمة القائلة إن شمس الصيف التي تبقى مشرقة على مدى 24 ساعة تساهم في إذابة الجليد، كانت خاطئة. فالجليد الأبيض يعكس أشعة الشمس الدافئة، لتبقى بالتالي مياه المحيط المتجمد الشمالي متجمدة بشكل دائم حول القطب الشمالي.

ماذا بعد؟

ساهم الاحتباس الحراري في انحسار الجليد بشكل لافت. عام 2007، ساهم ذوبان الجليد في فتح الممر الشمالي الغربي بشكل كلي للمرة الأولى في التاريخ.

الممر الشمالي الشرقي

على غرار الممر الشمالي الغربي، لم يكن أحد واثقًا من وجود ممر شمالي شرقي حول روسيا وما إذا كان مغلقًا بصورة مستمرة بفعل الجليد. خلال القرن السادس عشر، قامت سفن إنكليزية وهولندية باستكشاف الساحل الشمالي لروسيا.

الانفتاح على روسيا

كان الإنكليز أول من استكشف هذا الطريق. ففي عام 1533، أبحرت ثلاث سفن في الاتجاه الشمالي بحثًا عن طريق جديد إلى الصين. فحوصرت اثنتان منها بالجليد ما أدى إلى وفاة أفراد الطاقم كافة، في حين أن الثالثة، بقيادة ريتشارد شانسلور (1520 – 1556) فشلت في الوصول إلى الصين، وعبرت البحر الأبيض وصولًا إلى أرخانغليسك. وتابع بعدها رحلته برًّا إلى موسكو، عاصمة إيفان الرابع، قيصر روسيا.

ماذا بعد؟

ساهمت رحلة شانسلور إلى موسكو في تعزيز التبادلات التجارية بين إنكلترا وروسيا. عام 1557، أرسلت دوقية موسكو الكبرى بعثة إلى بحر قزوين لترسيخ الروابط التجارية بين إنكلترا وبلاد فارس.



جزيرة سبتسبرجن التي اكتشفها بارنتس، أصبحت مصدرًا مربحًا للحيتان، والفقمات والفظ

إيفان الرابع أو الرهيب

كان إيفان الرابع (1530 – 1584) أول حاكم يحظى بلقب قيصر أو إمبراطور روسيا. يمكن ترجمة اللقب الذي أُسند إليه «غروزني»، بالمهيب أكثر منه بالرهيب. لكن طباعه كانت عنيفة ولا يمكن التنبؤ بها. بذل إيفان الكثير من الجهد لتوسيع حدود إمبراطوريته كما أدخل عددًا من الإصلاحات.

إيفان الرهيب، الجالس في الوسط، يُرحب بتاجر إنكليزي في بلاطه



الإطار الزمني:

- 1553: انطلاق ثلاث سفن من إنكلترا بحثًا عن الممر الشمالي الشرقي إلى الصين وفقدان اثنتين منها .
- 1554: رحلة ريتشارد شانسلور الشاقة إلى موسكو .
- 1594: رحلة بارنتس الأولى بحثًا عن الممر الشمالي الشرقي ووصوله إلى نوفايا زيمليا.
- 1596: اكتشاف بارنتس جزيرة سبتسبرجن في رحلته الثالثة وإمضاؤه فصل الشتاء فيها بعد محاصرته بالجليد .
- حزيران/يونيو 1597: وفاة بارنتس مع بداية ذوبان الثلج وإنقاذ أفراد طاقمه جميعًا.



الكوخ الذي بناه بارنتس وطاقمه من حطام سفينتهم

كوخ بارنتس

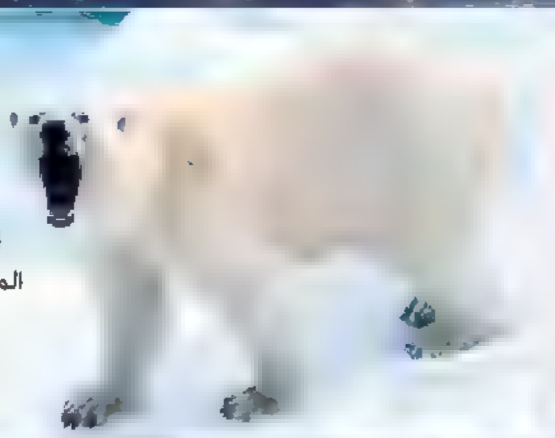
في آب/أغسطس 1596، علقت سفينة بارنتس بالجليد وتحطمت. فاستخدم أفراد الطاقم الضلوع الخشبية في هيكل السفينة لبناء كوخ يقيهم برد الشتاء، كما استخدموها كوقود للتدفئة والطبخ.

ويليام بارنتس

قام المستكشف الهولندي ويليام بارانتس (1550 - 1597) بثلاث محاولات للعثور على طريق بحرية إلى الصين. فوصل مرتين إلى نوفايا زيمليا، وهي جزيرة كبيرة تمتد من سيبيريا إلى المحيط المتجمد الشمالي، لكن الجليد أعاق تقدمه. خلال البعثة الثالثة، تمكن بارنتس من رؤية المياه الجارية على مسافة بعيدة من الجزيرة، لكنها لم تلبث أن تجمدت. توفي بارنتس قبل أن يتمكن أحد من إنقاذه.

حاجات الدببة

شاهد بارنتس وأفراد طاقمه أشياء كثيرة خلال بعثاتهم الاستكشافية. في جزيرة الدب الواقعة جنوبي سبتسبرجن، تمكنوا من قتل دب قطبي وأسموا الجزيرة التي اكتشفوها جزيرة الدب تيمنًا به. لكنهم قرروا عدم صيد الدببة ثانية لأنهم أصيبوا بالغثيان عند تناول لحمه. ولا شك في أن قرارهم كان صائبًا لأن لحم الدب القطبي يحتوي على مستويات مميتة من الفيتامين أ.



تُعد الدببة القطبية من المخاطر الدائمة في القطب الشمالي

حول أوراسيا

بفضل البعثة الاستكشافية الروسية التي أُرسلت إلى سيبيريا في القرن الثامن عشر (راجع ص 38 39)، أصبح الممر الشمالي الشرقي عبر المتجمد الشمالي أكثر شهرة مع حلول أواخر القرن التاسع عشر. ولكن كان لا بد من أن يبحر أحدهم عبر هذا الممر.



يقيم، حاليًا، شعب التشوكشي في مستوطنات دائمة.

ماذا بعد؟

مع بناء كاسحات جليد فاعلة في القرن العشرين، تحول الممر الشمالي الشرقي إلى قناة دولية رئيسية.

التشوكشي

كان شعب التشوكشي المقيم في شمالي شرقي سيبيريا منقسمًا، بفعل التقاليد، إلى صيادي السواحل ورعاة الأيائل في المناطق الداخلية الذين كانوا يتنقلون برفقة قطعانهم. ساعد شعب التشوكشي نوردنسكيولد ورجاله خلال إقامتهم في المكان لفصل الشتاء.

التخطيط للنجاح

بنتيجة الأبحاث التي قام بها، وجد المستكشف الفنلندي أدولف نوردنسكيولد (1832 - 1901) أن أنهر سيبيريا العظيمة يمكن أن ترسل كمية كافية من المياه الدافئة في الاتجاه الشمالي، نحو المحيط المتجمد الشمالي، خلال أشهر الصيف، مساهمة بالتالي في إبقاء الجزء الأكبر من المياه الساحلية خاليًا من الجليد. فكان يأمل في أن يتمكن من عبور الممر الشمالي الشرقي من خلال بقائه بمحاذاة الشريط الساحلي.



الإطار الزمني:

- حزيران/يونيو 1878: مغادرة سفينة فيغا كارلسكرونا في جنوبي شرقي السويد؛ صعود نوردنسكيولد إلى السفينة في النرويج.
- أيلول/سبتمبر 1878: محاصرة الفيغا بالجليد قرب رأس دينزيف، مع حلول فصل الشتاء.
- تموز/يوليو 1879: تحرر الفيغا من الجليد وإبحارها جنوبًا في اتجاه بحر بيرينغ.
- نيسان/أبريل 1880: عودة الفيغا إلى السويد بعد رحلة طويلة عبر المحيط الهادئ والمحيط الهندي.

تكلّل البعثة بالنجاح

بعد إبحاره من جنوب السويد على متن الفيغا، كان نوردنسكيولد حريصًا على البقاء بمحاذاة الساحل، ولكن ما لبث الجليد أن حاصره وهو لا يزال على بعد أقل من 200 كيلومتر من رأس دينزيف، عند الطرف الشرقي من سيبيريا، مرغمًا إياه على المكوث حتى انقضاء فصل الشتاء. ومع انحسار الرقعة الجليدية في فصل الصيف، أبحر حول آسيا ليطوف بالتالي بحرًا حول المساحات الواسعة من أوراسيا.



الفيغا

كانت سفينة نوردنسكيولد، الفيغا، مخصصة لصيد الحيتان. وكان الهيكل مصنوعًا من خشب البلوط مع طبقة خارجية من الخشب الأكثر صلابة لمقاومة الجليد. وإضافة إلى أشرعتها، كانت السفينة مزودة أيضًا بمحرك بخاري.



الفيغا، سفينة فائقة المقاومة للجليد.

الانفتاح على اليابان

من الدول الآسيوية التي كان كولومبوس وغيره من الأوروبيين يرغبون في الوصول إليها، إمبراطورية اليابان القائمة على جزيرة على مقربة من الساحل الشرقي. غير أن تواصل الدول الأوروبية مع هذه الإمبراطورية كان محدودًا بحيث إن أبواب اليابان بقيت موصدة أمام الزائرين الأجانب لفترة طويلة من الزمن.

الدين والتجارة

كان البرتغاليون أول من وصل إلى اليابان عام 1542، وتبعهم اليسوعيون بعد فترة زمنية قصيرة. عام 1609، أقامت شركة الهند الشرقية الهولندية قاعدة تجارية قرب ناغاساكي. وعقب ثورة شيمابارا عام 1638، ارتكبت مذبحة في قصر هارا بحق الجيش الياباني المسيحي الذي كان عدده يوازي 37 ألف عنصر، كما جرى بعدها طرد التجار البرتغاليين. ولم يُسمح إلاّ للهولنديين والصينيين بمواصلة التبادلات التجارية مع اليابان نظرًا إلى أن هذه الأخيرة انغلقت على نفسها وقررت الانعزال عن باقي العالم.

الإطار الزمني:

- 1542: وصول التجار البرتغاليين الأوائل إلى تانيغاشيما.
- 1639: طرد التجار من اليابان؛ بدء مرحلة العزل.
- 1853: وصول أول أسطول أميركي بقيادة كومودور بيري.
- 1854: بيري يرغم اليابان على توقيع معاهدة مع الولايات المتحدة.
- 1867: بداية مرحلة التحديث في اليابان.



قلعة هيميجي في مدينة كينساي التي بقيت صامدة ولم تصب بأي أذى على الرغم من سنوات الحرب الطويلة التي شهدتها اليابان.



توكوغاوا اييه-ياسو، الشوغان في اليابان

الساموراي الإنكليزي

كان ويليام أدامز (1564–1620) أول رجل إنكليزي يزور اليابان عام 1600. وبعد أن أمضى الفترة الأولى في السجن، استخدمه حاكم البلاد للمساعدة في بناء أسطول بحري حديث. وسرعان ما مُنح لقب ساموراي، أو فارس، وأصبح مستشارًا مؤتمنًا للشوغان توكوغاوا اييه-ياسو، أو الحاكم العسكري الرئيسي في اليابان.

دبلوماسية السفن المزوّدة بالمدافع

خلال القرن التاسع عشر، تحولت الولايات المتحدة إلى قوة عظمى في المحيط الهادئ. عام 1853، أرسلت الحكومة الأميركية بعثة بحرية لإرغام اليابانيين على التفاوض والتجارة؛ دخل الأسطول الذي كان يترأسه كومودور ماثيو بيري مرفأ أوراغا عام 1853، وعاد في السنة التالية إلى خليج إيدو مع أسطول كبير من السفن الحربية. أمام هذه القوة العسكرية الجبارة، وجدت اليابان نفسها مرغمة على الاستسلام.

مذهل!

في غضون 50 سنة، استخدمت اليابان تقنيات الغرب لبناء أسطول قادر على التغلب على الأسطول الإمبراطوري الروسي.



محارب ساموراي مرتديًا دروعه كلها.

الشوغان

على الرغم من أن اليابان كانت خاضعة نظريًّا، لحكم إمبراطور يتمتع بصفات إلهية، فإن السلطة الفعلية كانت بين أيدي الشوغان. فهؤلاء القادة العسكريون استمروا في بسط هيمنتهم على الحكم في اليابان إلى أن تمت الإطاحة بهم عام 1867-1868 وأعيدت السلطة إلى الإمبراطور.



استسلام ثوار ساتوسما للقوات الحكومية.

ثوار الساموراي

بعد استعادته السلطة عام 1867، باشر الإمبراطور بعملية تطوير البلاد لتتمكن من مواكبة العصر. لم يلقَ هذا الأمر ترحيبًا من الجميع وتعرض محاربو الساموراي في قبيلة ساتسوما للذبح خلال المعركة التي دارت بينهم وبين الجيش الياباني الجديد عام 1877.



العالم الجديد

منذ عودة كولومبوس من رحلته الأولى عام 1493، لم يتوقف الأوروبيون عن التساؤل عن الأرض التي عثر عليها عند الطرف الآخر من المحيط الأطلسي. أهي قارة آسيا كما افترض كولومبوس، أم هي قارة جديدة لم تكن معروفة مسبقًا؟ ولم يكد يمضي بضع سنوات حتى تبين أن الأمر يتعلق بقارة جديدة، وأرض جديدة تعد بالكثير. أتراها غنية بالذهب أم أن مدنها تنطوي على ثروات تفوق الخيال؟ فقرر عدد كبير من الأوروبيين الإبحار إلى تلك القارة الجديدة لسبر أغوارها.



عودة كولومبوس

بعد رحلته الأولى عام 1492 1493، عبر كولومبوس المحيط الأطلسي ثلاث مرات أخرى لاستكشاف الأراضي التي كان قد ألقى المرساة فيها من قبل. فساهمت هذه الرحلات في فتح أبواب هذه القارة الجديدة أمام المستكشفين والفاتحين الأوروبيين.



حول البحر الكاريبي

ما بين عامي 1493 و1496، أبحر كولومبوس في رحلته الثانية لاستكشاف بحر الكاريبي وإقامة مستوطنة في هيسبانيولا. وفي رحلته الثانية عام 1498، أصبح أول رجل أوروبي يطأ أرض أميركا الجنوبية. وعاد بعدها أدراجه إلى سانتو دومينغو ليتولى الحكم فيها. ولكن بعد ارتفاع عدد الأصوات المتذمرة، أمر الحاكم الإسباني الجديد بتوقيفه وإرساله إلى إسبانيا لمحاكمته.

المستوطنون الجدد

تم إنشاء المستوطنات الإسبانية الأولى التي عرفها العالم الجديد على جزيرة هيسبانيولا. غير أن السكان الأصليين، التاينو، دمروا المستوطنة الأولى التي حملت اسم لا نافيداد. فأنشأ كولومبوس مستعمرة جديدة في سانتو دومينغو، عاصمة جمهورية الدومينيك الحالية.



قرية للتاينو أعيد بناؤها من جديد على جزيرة هيسبانيولا

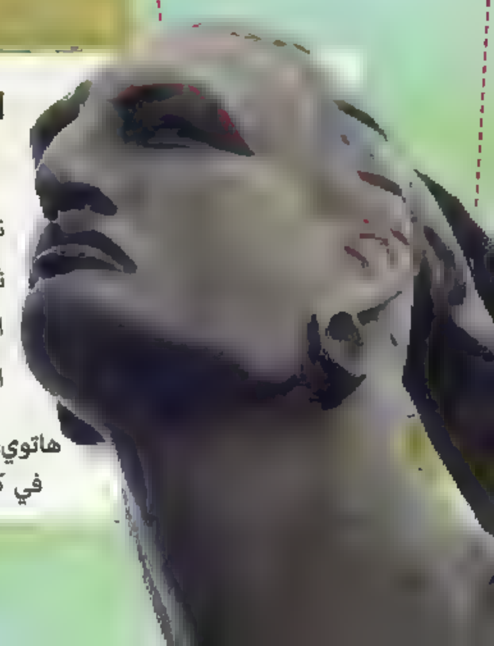
مذهل!

عام 1494، وقّع البابا اسكندر السادس معاهدة توردسيلاس التي رسمت خطًا على خارطة المحيط الأطلسي، وقسّمت العالم الجديد بين البرتغاليين والإسبان.



الإمبراطورية الإسبانية

كان الإسبان شديدي القسوة في تعاملهم مع السكان الأصليين الذين ثاروا ضد حكمهم. وقد ساهم انتشار الأمراض الجديدة في محو أثر السكان الأصليين من جزر الكاريبي.



هاتوي، قائد من التاينو ناضل ضد الحكم الإسباني في كوبا وتم إحراقه حيًّا لأنه رفض أن يتعمد.

التوغل نحو الغرب

بعد انتهاء محاكمته في إسبانيا وإعلان براءته، أبحر كولومبوس من جديد عام 1502، متجهًا هذه المرة نحو الغرب مرورًا بالجزر. لدى وصوله إلى البر، ظن كولومبوس أنه عثر على طريق جديد إلى آسيا، لكن الحقيقة هي أنه وصل إلى الخط الساحلي لأميركا الوسطى.

الإطار الزمني

- 1493 - 1496: في رحلته الثانية، اكتشف كولومبوس جزر ليوارد وأطلق عليها هذا الاسم، كما أقام مستوطنة في هيسبانيولا.
- 31 تموز/يوليو 1498: في رحلته الثالثة، ألقى كولومبوس المرساة في ترينداد قبل استكشافه اليابسة في أميركا الجنوبية.
- 19 آب/أغسطس 1498: لدى عودته إلى هيسبانيولا، اعتقل كولومبوس وأعيد إلى دياره.
- 1502-1504: كولومبوس يستكشف الساحل الشرقي لأميركا الوسطى بحثًا عن ممر إلى المحيط الهندي.
- 1506: وفاة كولومبوس.

الخطوات الأولى على البر الرئيسي

بعد أن استقروا في المستوطنات الجديدة في جزر الكاريبي، بادر الإسبان إلى استكشاف البر الرئيسي لشمال أميركا ووسطها الممتد نحو الغرب. فساهمت الاستكشافات البرية التي قاموا بها في تمهيد الطريق أمام الاستعمار الإسباني للمنطقة كلها.

المحيط الأطلسي

عام 1510، أنشأ المستكشف الإسباني فاسكو نونييث دي بالبوا (1475 – 1519) مستعمرة سانتا ماريا لا انتيغوَا ديل داريان الإسبانية في برزخ باناما في أميركا الوسطى. فسمع هناك أخبارًا يتناقلها السكان المحليون عن محيط شاسع نحو الغرب. عام 1513، عبر بالبوا البرزخ وكان أول رجل أوروبي يشاهد المحيط الأطلسي.



نونييث دي بالبوا يلمح المحيط الأطلسي للمرة الأولى



خوان بونتي دي ليون

تميز المستكشف خوان بونتي دي ليون (1460 – 1521) الذي استعمر بورتو ريكو واكتشف فلوريدا، بإيمانه بالاستعمار المسالم، خلافًا للاعتقادات التي كانت سائدة في عصره. فكان لينًا وودودًا في تعامله مع الأشخاص الذين التقاهم.

لغز محير!

كان الإسبان شديدي الحماسة إلى استكشاف الجزر الواقعة شمالي كوبا، ولاسيما بعد سماعهم شائعات عن ينبوع الشباب الموجود فيها، ينبوع تمنح مياهه الشباب الأبدي إذا ما اغتسلت فيها!

الإطار الزمني:

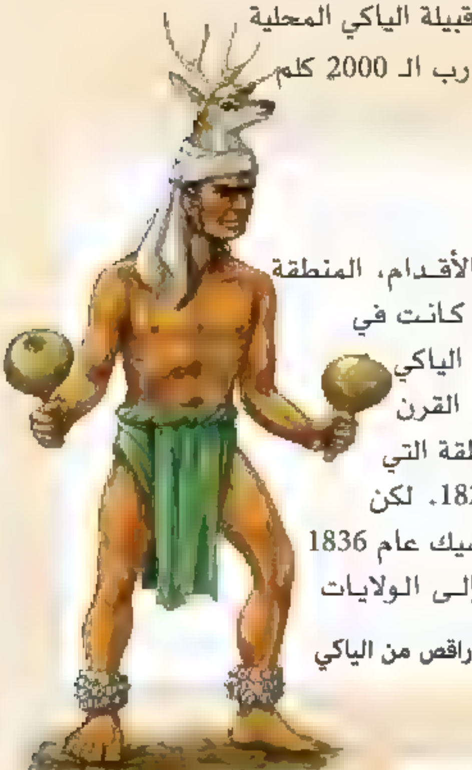
- 1510: إنشاء نونييث دب بالبوا أول مستعمرة إسبانية على البر الرئيسي.
- آذار/مارس 1513: وصول بونتي دي ليون إلى مكان أطلق عليه اسم فلوريدا.
- 27 أيلول/ سبتمبر 1513: نونييث دي بالبوا يلمح المحيط الأطلسي ويدّعي أنه ملك لإسبانيا.
- 1528: نجاة كابيتا دي فاكا وثلاثة رجال آخرين بعد غرق سفينتهم ووصولهم إلى شاطئ تكساس ليباشروا بعدها رحلة طويلة إلى بر الأمان.
- 1542: نشر كتاب تضمن وصف كابيتا دي فاكا لمغامراته.

الرحلة الطويلة

عام 1513، أبحر خوان بونتيَ دي ليون من مستعمرة بورتو ريكو الإسبانية في اتجاه الشمال ليلقي بعدها المِرساة في مكان اسمه تيرا-لا فلوريدا (أو أرض الورود). بعد مرور 15 سنة، أرسل أسطول لاستكشاف فلوريدا، إلا أنه غرق في خليج مكسيكو، ولم يتبقَّ على قيد الحياة سوى عدد قليل من الرِجال، ومنهم ألفار نونييث كابيتا دي فاكا (1490 – 1556) الذي كتب عن التجارب التي مر بها. فبعد أن قدم لهم رجال قبيلة الياكي المحلية العون، كان عليهم أن يجتازوا ما يقارب الـ 2000 كلم سيرًا على الأقدام ليتم إنقاذهم.

أرض الياكي

قطع كابيتا دي كافا سيرًا على الأقدام، المنطقة المعروفة حاليًا باسم تكساس. كانت في تلك الحقبة مأهولة بسكان أرض الياكي وغيرهم من السكان المحليين. في القرن السابع عشر، استعمر الإسبان المنطقة التي أصبحت أرضًا مكسيكية عام 1821. لكن تكساس أعلنت استقلالها عن المكسيك عام 1836 لتنضم، بعد مرور تسع سنوات، إلى الولايات المتحدة الأميركية.


راقص من الياكي

البيسون:

خلال الرحلة الطويلة عبر ما يُعرف حاليًا بتكساس، التقى كابيتا دي فاكا مجموعة من السكان المحليين الذين اجتمعوا لحصاد التين الشوكي. كما شاهد أيضًا قطيعًا من الأبقار المحدبة المكسوة بطبقة سميكة من الصوف ترعى في البراري. كانت تلك المرة الأولى التي يشاهد فيها الأوروبيون حيوان البيسون.



كورتيس في المكسيك

تميزت الشعوب التي التقاها المستكشفون الأوائل في الأميركتين بكونها شعوبًا مكتفية ذاتيًا تعتمد على الزراعة وصيد الحيوانات. ومع أن الأوروبيين كانوا ينظرون إليها على أنها شعوب بدائية، فإن نظرتهم للقارة الجديدة تغيرت بشكل كلي عند اكتشافهم إمبراطورية الآزتيك في المكسيك.

في المناطق الداخلية

عام 1518، أرسل حاكم كوبا الأسباني 11 سفينة بقيادة إرنان كورتيس (1485–1547) لاستكشاف ساحل شبه جزيرة يوكاتان في المكسيك. ولم يكد يصل إلى ذلك المكان حتى سمع كورتيس أخبارًا عن إمبراطورية عظيمة قائمة في منطقة بعيدة في الداخل. فانطلق في رحلة برية برفقة عدد قليل من رجاله وبعض الخيول متوغلًا في المناطق الداخلية. ولكن سرعان ما تمكن من التحالف مع السكان المحليين الذين أبدوا استعدادًا للنضال ضد حكامهم الحاليين الآزتيك.



خارطة آزتيكية لمدينة تينوتشيتيتلان.

تينوتشيتيتلان

بلغ عدد سكان العاصمة الآزتيكية 250 ألف نسمة، أي أكثر من عدد السكان في أي مدينة أوروبية في تلك الحقبة. كانت العاصمة تحكم سيطرتها على الإمبراطورية بكاملها، الممتدة من المحيط الباسيفيكي إلى بحر الكاريبي، والتي يبلغ عدد سكانها 10 ملايين نسمة.

الآزتيك

استقر الآزتيك وسط المكسيك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وتمكنوا من بناء إمبراطورية واسعة النفوذ. طوروا تقويمًا زمنيًا معقدًا وبنوا مدنًا حجرية شاسعة، مع أنه لم يكن لديهم معدات حديدية، أي عربات مزودة بعجلات أو خيول.



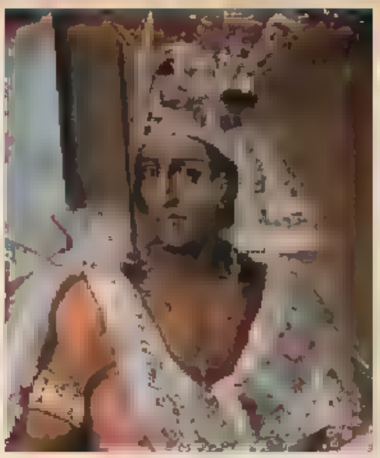
حجر تقويم الآزتيك، المبني على دورة معقدة تتألف من حقبات مكونة من 20 يومًا.

سقوط الإمبراطورية العظيمة

دخل كورتيس العاصمة تينوتشيتيتلان وأسر الإمبراطور منتزوما الثاني. لكن كورتيس وجد نفسه مرغمًا على العودة إلى الساحل لمواجهة تهمة العصيان الموجهة إليه، تاركًا المدينة بإمرة نائبه، الملازم بيدرو دي الفارادو. ولدى عودته، اكتشف أن الفارادو قد قتل مجموعة من النبلاء من الآزتيكيين، ما دفع بالآزتيك إلى إعلان الثورة وقتل منتزوما وإرغام الأسبان على الفرار. بعد مرور سنة تقريبًا، تمكن كورتيس من الاستيلاء على العاصمة تينوتشيتيلان وإحكام سيطرته على الإمبراطورية الآزتيكية برمّتها.

الإطار الزمني:

- 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1518: انطلاق بعثة استكشافية مؤلفة من 900 رجل من كوبا برئاسة كورتيس.
- 16 اب/أغسطس 1519: رحلة كورتيس في المناطق الداخلية.
- تشرين الثاني/نوفمبر 1519: دخل كورتيس تينوتشيتيتلان واتخذ الإمبراطور الآزتيكي منتزوما الثاني رهينة.
- كانون الأول/ديسمبر 1519: قيام الثورة الأزتيكية في أثناء غياب كورتيس عن المدينة.
- 30 حزيران/يونيو 1 تموز/يوليو 1520 خروج كورتيس من العاصمة تينوتشيتيتلان بعد خسارته نصف رجاله.
- أيار/مايو- آب/أغسطس 1521 هجوم الأسبان وحلفائهم على تينوتشيتيتلان واستيلاؤهم على المدينة.



منتزوما الثاني

وصف الإمبراطور الآزتيكي منتزوما الثاني (الذي حكم ما بين عامي 1502–1520) في السجلات التي تركها الأسبان على أنه قائد ضعيف. ولكن قبل هزيمته أمام كورتيس، حقق عددًا كبيرًا من الانتصارات العسكرية وتمكن من غزو مناطق واسعة من جنوب المكسيك.



مدينة تينوتشيتيلان المبنية على جزيرة في وسط بحيرة تيكسكوكو.

مذهل!

لم تكن تينوتشيتيلان المدينة الأولى في وادي المكسيك من حيث الأهمية. فالعاصمة المكسيكية الواسعة الامتداد مبنية على أنقاض مدينة تيوتيهواكان العظيمة التي بنيت قبل عصور طويلة.

بحثًا عن الإنكا

كثرت الشائعات في العالم الحديث عن حضارة غنية بالذهب تسمّى البيرو وتقع على ساحل المحيط الباسيفيكي في أميركا الجنوبية. فانطلق رجل واحد بحثًا عن هذه الحضارة الأسطورية.



فرانشيسكو بيزارو

خدم بيزارو (1475-1541) كجندي بإمرة بالبوا عام 1513 قبل أن يصبح مربي ماشية في باناما. لمّا شد الرحال لغزو إمبراطورية الإنكا عام 1530، كان قد بلغ الخامسة والخمسين من العمر، ووجد في هذه المهمة فرصته الأخيرة لتحقيق النجاح.

نحو التلال



قاد المستكشف الأسباني فرانشيسكو بيزارو ثلاث بعثات استكشافية بحثًا عن البيرو. فمنيت الأولى بالفشل، في حين أن الثانية توغلت جنوبًا، عام 1526، وصولًا إلى مدينة تومبس التابعة لإمبراطورية إنكا في شمالي البيرو. وعادت البعثة إلى ديارها حاملة أخبارًا عن حضارة متقدمة قائمة في أعالي الجبال. فأبحر بيزارو من جديد عام 1530 للاستيلاء عليها.

إمبراطورية الإنكا

كانت إمبراطورية الإنكا الواقعة في أميركا الجنوبية مترامية الأطراف، تمتد من الإكوادور شمالًا، إلى وسط تشيلي في الجنوب، مرورًا بجبال الأنديز وصولًا إلى الأرجنتين في الشرق. وكانت أجزاؤها كافة مترابطة بفضل شبكة واسعة من الطرق المعبدة.



غطاء للرأس يعود إلى حضارة الإنكا وهو مصنوع من الذهب شأنه في ذلك شأن الكثير من القطع التي اهتموا بصناعتها.

محالفة الحظ في المحاولة الثالثة

أبحر بيزارو وفريقه جنوبًا إلى مدينة تومبس التي تحولت أنقاضًا عقب الحرب الأهلية التي مزقت إمبراطورية الإنكا. وطلب مقابلة الإمبراطور أتاوالبا برفقة رجاله الذين لا يتجاوز عددهم الـ 200، وأخذه رهينة. فعرضوا عليه غرفة مليئة بالذهب مقابل إطلاق سراح الإمبراطور. ولكن بعد تسلّمه هذا الكنز، أعدم بيزارو الإمبراطور واستولى على العاصمة كوسكو، وبسط سيطرته على إمبراطورية الإنكا برمّتها.

مدينة ماشو بيشو، وهي مدينة إنكية نائية في جبال البيرو، هجرها شعب الإنكا بعد الغزو الأسباني ولم يعرف العالم الخارجي بوجودها إلا عند اكتشافها عام 1911.



بقايا ساكسايهيومان

قلعة ساكسايهيومان

إنها القلعة الإنكية الرئيسية التي كانت تحمي العاصمة كوسكو. وهذه القلعة، التي هي عبارة عن بناء حجري ضخم، مؤلف من ثلاثة جدران متدرجة، قادر على استيعاب 500 جندي، تتميز بحجارتها الضخمة التي تم تقطيع وتشكيل كل واحدة منها على حدة بفضل مهارات الحجارين في عصر الإنكا.

الإطار الزمني:

- 1524 - 1525: فشل بيزارو في العثور على الذهب في رحلته الأولى جنوبًا.
- 1526 - 1528: ابحاره جنوبًا باتجاه تومبس حيث سمع عن مدينة في أعالي الجبال .
- أيار/مايو 1532: عودته إلى تومبس التي وجدها أنقاضًا.
- تشرين الثاني/نوفمبر 1532 توغله في المناطق الداخلية ووصوله إلى كاجاماركا حيث أخذ أتاوالبا رهينة.
- تموز/يوليو 1533: إعدام أتاوالبا.
- تشرين الثاني/نوفمبر 1533: استيلاء جيش بيزارو على العاصمة الإنكية كوسكو .

ماذا بعد؟

سقط المعقل الإنكي الأخير بأيدي الأسبان عام 1572، لكن أطراف الإمبراطورية المترامية لم تقهر كلها إلا في بداية القرن التاسع عشر.

البحث عن الذهب

استحوذت فكرة البحث عن الذهب على أذهان المستكشفين الإسبان وقضّت مضاجعهم. ومع أنه تعذر عليهم العثور على ما كانوا يطمحون إليه، وفقد الكثيرون حياتهم خلال بحثهم عن الذهب، فإنهم شرعوا أبواب المناطق الداخلية من القارة أمام المزيد من البعثات الاستكشافية.

مذهل!

عام 1539، عثر دي سوتو على خوان أورتيز، وهو أحد الأشخاص الناجين من بعثة عام 1528. انضم أورتيز إلى بعثة دي سوتو بصفة مترجم.

غزو فلوريدا

بعد مرور عشر سنوات على البعثة الاستكشافية المأساوية عام 1528 (راجع ص. 69)، أخذ إرناندو دي سوتو على عاتقه مهمة غزو فلوريدا لصالح أسبانيا. فقادته رحلته الاستكشافية عبر فلوريدا وشمالاً إلى نهر سافانا قبل أن يتجه غربًا نحو نهر المسيسيبي. كان شديد القسوة في تعامله مع قبيلتي الشيروكيّ والكري وغيرهما من السكان الأصليين الذين التقاهم في طريقه، إلا أنه فشل في العثور على الذهب.



الإطار الزمني:

- أيار/مايو 1539: وصول دي سوتو إلى تامبا باي في فلوريدا.
- 1539 1541: توغل دي سوتو شمالًا وغربًا وزرعه الرعب بين الشعوب التي التقاها.
- شباط/فبراير 1540: انطلاق كورونادو بحثًا عن مدن الذهب الأسطورية في سيبولا.
- تموز/يوليو 1540: اكتشاف الفريق الذي أرسله كورونادو غراند كانيون.
- أيار/مايو 1541: عبور دي سوتو نهر المسيسبي.
- 21 أيار/مايو 1542: وفاة دي سوتو وعودة رجاله إلى أسبانيا الجديدة (مكسيكو).
- 1542: عودة كورونادو إلى مدينة مكسيكو.

مطاردة سيبولا

انطلق أسباني آخر في اتجاه الجانب الغربي من أميركا الشمالية في رحلة البحث عن الذهب، ساعيًا للوصول إلى مدينة سيبولا الأسطورية. إنه فرانشيسكو فاسكيس دي كورونادو (1510 – 1554) الذي ترأس بعثة استكشافية توجهت شمالاً عبر ما يُعرف حاليًا بولايات نيو مكسيكو، وأريزونا، وتكساس، وكنساس. وكان رجاله أول الرجال الأوروبيين الذين شاهدوا غران كانيون.



صحراء أريزونا

عبر فاسكيس دي كورونادو ورجاله عبر صحراء نيو مكسيكو وأريزونا حيث التقوا شعوبًا مختلفة منهم الزوني والهوبي الذين يعيشون في أكواخ مبنية عند أطراف المنحدرات. كان الطقس قاسيًا جدًا وقد خسر عدد كبير من الإسبان حياتهم بفعل الهجمات التي شنها الهنود عليهم.

دمية الكاشينا- رمز ديني يعود إلى شعب الهوبي المقيم في صحراء أريزونا



إرناندو دي سوتو

كان دي سوتو (1496 – 1542) نبيلًا اسبانيًا جمع ثروة طائلة بعد غزوه إمبراطورية الإنكا برفقة بيزارو. بعد حصوله على الثروة، بدأ يتطلع إلى السلطة ومنح عام 1537 الحقّ بغزو فلوريدا واستعمارها.



إلى كندا

في الوقت الذي انشغل فيه الإسبان باستكشاف أميركا الوسطى وفلوريدا، ركز الفرنسيون اهتمامهم فيما يُعرف حاليًا بكندا. إذ كانوا يأملون في إيجاد ممر مائي عبر أميركا الشمالية إلى آسيا. ولكن ما اكتشفوه فعليًا شكل أسس إمبراطورية شاسعة في الأميركتين.

الخطوات الأولى

عام 1534، انطلق جاك كارتييه (1491 – 1557) في رحلة البحث عن ممر شمالي غربي إلى آسيا. فأبحر عبر خليج سان لورانس، وعاد في السنة التالية ليكتشف نهر سان لورانس العظيم، أو المنفذ إلى كندا. أبحر كارتييه إلى أعالي النهر، وتوقف في ستاداكونا (كيبيك الحديثة) وهوشيلاغا حيث أسمى الجبل المجاور لها «مون ريال» أو الجبل الملكي، وهو ما يُعرف حاليًّا باسم مونتريال.



سير والتر رالي

قاد المستكشف الإنكليزي والتر رالي (1552 – 1618) بعثة استكشافية عام 1585 لإنشاء مستعمرة إنكليزية في أميركا الشمالية. لكن المستعمرة التي أنشأها في روانوك في أميركا الشمالية لم تدم إلاّ لسنة واحدة.

لغز محير!

عام 1587، وصل 100 مستوطن إنكليزي برفقة الحاكم جون وايت إلى جزيرة روانوك. توجه بعدها وايت إلى إنكلترا للتزود بالمؤن، ولكن لدى عودته إلى الجزيرة عام 1590، كان المستوطنون المئة قد اختفوا من دون أن يتركوا أي أثر.

نهر سانت لورانس

وجد جاك كارتييه صعوبة في الإبحار إلى أعالي نهر سانت لورانس وروافده بسبب كثرة شلالات المياه الصافية فوق مونتريال. من جهته، ارتأى ساموييل دي شامبلين حل هذه المعضلة واستخدام الزوارق في السفر شأنه في ذلك شأن السكان المحليين.



كان سكان هوشيلغا يقطعون الشلالات بوساطة زوارق مماثلة

المستوطنون الفرنسيون

على الرغم من أن الكثير من صائدي الحيوانات لبيع فرائها، والتجار وصيادي الأسماك الفرنسيين لحقوا بكارتييه إلى كندا، فإن محاولة بناء مستوطنات دائمة في المنطقة لم تنجح إلا في القرن التالي. إذ أنشأ ساموييل دي شامبلين (1567 – 1635) مستوطنة الكيبيك، وهي المستوطنة الفرنسية الأولى في كندا، واستكشف عام 1615 بحيرة أونتاريو.



زعيما قبائل الأوتاوا المتحالفة مع الفرنسيين

الشعوب الأوائل

أحسن الفرنسيون معاملة السكان الأصليين واستخدموهم كمرشدين. من جهته، تعاطف دي شامبلين مع الألغونكوين، وقبائل الهورون، والإينو ضد الإيروكواس الذين ساعدوا في وقت لاحق البريطانيين على طرد الفرنسيين من كندا.

الإطار الزمني:

- 1534: استكشاف كارتييه لساحل نيوفوندلاند.
- 1535-1536: إبحاره إلى أعالي نهر سانت لورانس وصولاً إلى مونتريال.
- 1587 : إنشاء مستعمرة بريطانية في جزيرة روانوك وزوالها كليًا عام 1590.
- 1603: استكشاف دي شامبلين نهر سانت لورانس وصولاً إلى مونتريال.
- 1608-1609: إنشاء الكيبيك.
- 1615 – 1616: سفره عبر نهر أوتاوا بالزورق وعبوره اليابسة وصولاً إلى بحيرتي أونتاريو وأونيدا.

نهر مسيسبي العظيم

في أواخر القرن السابع عشر، كان الأوروبيون قد نجحوا في العثور على مستعمرات في جنوب، وشرق وشمال أميركا الشمالية. لكن المناطق الداخلية للقارة ظلّت مجهولة بالنسبة إليهم إلى أن خاض مستكشفون فرنسيون رحلتين استثنائيتين.

النهر الجديد

عام 1673، انطلق لويس جولييه (1645-1700) وهو من محبي صيد الحيوانات لبيع فرائها والراهب اليسوعي جاك ماركيت (1637 - 1675) وخمسة رجال آخرون في رحلة باتجاه الشمال لاستكشاف النهر العظيم الواقع في الأراضي الداخلية الذي سمعوا عنه الكثير. بعد وصولهم بالزورق إلى ويسكونسين، توغلوا فيها ليصلوا إلى المسيسيبي، حيث قطعوا مستمرّين في التجديف لأكثر من 1600 كلم قبل أن يصادفوا شعب الكواباوا العدائي ويعودوا أدراجهم. كان الكواباوا يستخدمون السلع الأسبانية، ما أوحى لهم بأن النهر يصب في خليج مكسيكو حيث تم إنشاء الأسبان مستعمرات لهم.



كافالييه دو لا سال

كان رينيه روبير كافالييه دو لاسال (1643 - 1687) ابن تاجر ثري من روان في فرنسا. تدرب على حياة الكهنوت قبل أن يختار الحياة المليئة بالمغامرة وينتقل إلى العالم الجديد.



نرى في هذه الصورة جولييه وماركيت في زورق يتولى حلفاء إيلينو تجديفه في نهر المسيسيبي

بناء لو غريفون

عام 1678، بنى لاسال سفينة لو غريفون في نياغارا، لتكون بالتالي أول سفينة بالحجم الطبيعي تبحر عبر البحيرات العظمى. لقد بنى لاسال هذه السفينة بهدف نقل الفراء الذي كان يسعى لاستخدامه في تمويل بعثته الاستكشافية على طول النهر. أبحرت سفينة لو غريفون عبر البحيرات العظمى محمّلة بالفراء، لكنها غرقت في طريق العودة من نياغارا وضاعت حمولتها الثمينة.



تم بناء سفينة لو غريفون بمساعدة السكان المحليين من الإيروكواز

ماذا بعد؟

ادعى لاسال أن حوض المسيسيبي ملك من أملاك فرنسا، وأطلق عليه اسم لويزيانا تيمنًا بالملك لويس الرابع عشر. بقيت هذه الأراضي الشاسعة فرنسية لغاية 1763. وتم بيعها للولايات المتحدة الأميركية عام 1803

على طول الطريق

عام 1681، أبحر لاسال في رحلة لاستكشاف نهر المسيسيبي. ومع اقترابه من المسيسيبي عبر نهر إيلينو، اتجهت البعثة جنوبًا إلى أن صادفت الكواباوا على مقربة من نهر أركنساس. لكن الكواباوا سمحوا لهم هذه المرة بمتابعة طريقهم في اتجاه الجنوب. في نيسان/أبريل 1682، وصلت البعثة إلى دلتا المسيسيبي ومنها إلى البحر. وتم بالتالي فتح الجزء الأوسط من أميركا الشمالية أمام البعثات الاستكشافية والمستوطنات الاستعمارية.

الإطار الزمني:

- 17 أيار/مايو 1673: عبور جولييه وماركيت بحيرة ميشيغان واستخدامهما الزورق لاجتياز المسيسيبي.
- 17 تموز/يوليو 1973: مصادفة البعثة قبائل الكواباوا وعودتها أدراجها قرب نهر أركنساس.
- 1678: إنشاء لاسال مقرًا له في نياغارا قرب البحيرات العظمى.
- 21 كانون الأول/ديسمبر 1681: انطلاق لاسال في اتجاه المسيسيبي.
- 6 نيسان/أبريل 1682: وصول لاسال إلى الدلتا: تقسيم البعثة مجموعات من 3 أشخاص والتقاؤها بعد 3 أيام في خليج المكسيك.

دلتا المسيسيبي

لدى وصول بعثة لاسال إلى الدلتا عند فوهة نهر المسيسيبي، انفصل بعضهم عن بعض لاستكشاف المستنقعات الشاسعة. وأنشئت مدينة نيو أورلينز عام 1718 لاستغلال الموارد الطبيعية في المنطقة.



دلتا المسيسيبي كما تظهر من الفضاء الخارجي

البحث عن البحر الغربي

لم يكن لدى المستكشفين الأوائل لأميركا الشمالية، من الأسبان، والفرنسيين، والإنكليز، أدنى فكرة عن حجم تلك القارة. وكان الكثيرون منهم على ثقة بوجود بحر في المناطق الداخلية يصب في المحيط الباسيفيكي. فقرر رجل واحد الذهاب في رحلة للبحث عنه.



دو شارلفوا

كان بيار فرانسوا اكزافيه دو شارلفوا (1682–1761) مبشرًا يسوعيًّا فرنسيًّا متحدرًا من عائلة نبيلة. زار العالم الجديد للمرة الأولى عام 1705–1709 وعاد عام 1720 للبحث عن البحر الغربي.

النهر الغربي

وصل بيار دو شارلفوا إلى الكيبيك عام 1720 وانطلق في رحلته في السنة التالية. خلال عبوره البحيرات العظمى في الزورق المزوّد بمجاديف سأل عن البحر الغربي الأسطوري. لم يتمكن صيادو الحيوانات الذين يسعون إلى بيع الفراء الإجابة عن سؤاله، في حين أن السكان المحليين زوّدوه بالمعلومات كافة التي كان يرغب في سماعها. لكنه علم بأمر النهر العظيم الذي يجري في الاتجاه الغربي ويصب في النهر الغربي.



كان شارلفوا يأمل في أن يرشده الهنود المقيمون في الهضاب، كهؤلاء الذين نراهم في اللوحة، إلى البحر الغربي. لكن آماله كلها ذهبت هباء.

نهر ميسوري

ينبع نهر ميسوري من جبال الروكي في جنوبي غربي مونتانا، ويجري في الاتجاهين، الشرقي والجنوبي، على مسافة 3767 كلم قبل أن ينضم إلى نهر المسيسيبي في سانت لويس. يتميز هذا النهر بقرب منبعه من منابع الأنهر الجارية في الاتجاه الغربي وصولاً إلى نهر كولومبيا ومنه إلى المحيط الأطلسي. ما يعني أن نظرية دو شارلفوا عن الأنهر التي تجري نزولاً في اتجاه الجانب الغربي من جبال الروكي كما في الاتجاه الشرقي، كانت صحيحة.

نهر ميسوري قرب منبعه في جبال الروكي.



ماذا بعد؟

كانت نيو أورلينز التي زارها دو شارلفوا تضم نحو 100 كوخ. فتنبأ بأنها ستصبح في المستقبل مدينة غنية.

البحث العقيم

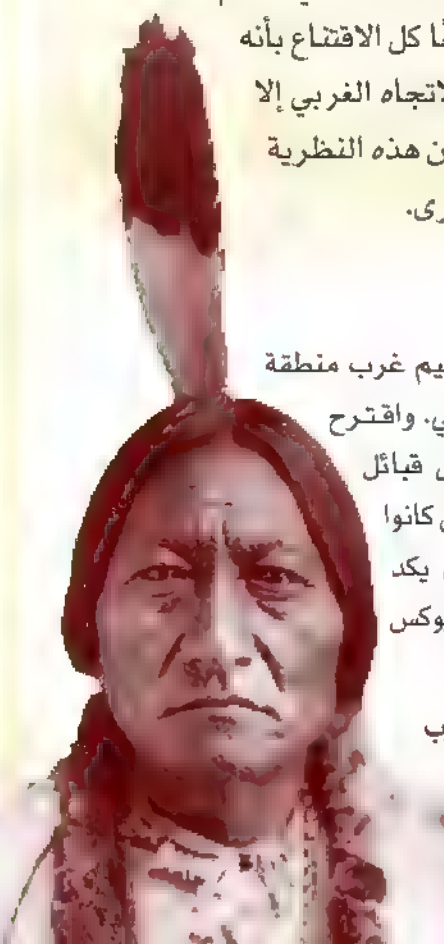
انطلق دو شارلفوا في تموز/يوليو 1721، وسلك الطريق عينه الذي سلكه لا سال قبله (راجع ص. 79) نزولاً إلى المسيسيبي في اتجاه نيو أورلينز. ومع أنه لم يعثر على البحر الغربي، لعدم وجوده في الأساس، فإنه كان مقتنعًا كل الاقتناع بأنه لا يمكن العثور على نهر جارٍ في الاتجاه الغربي إلا قرب منابع نهر المسيسيبي. غير أن هذه النظرية لن تُثبت إلا بعد مرور 80 سنة أخرى.

الإطار الزمني:

- 23 أيلول/ سبتمبر 1720 وصول دو شارلفوا إلى الكيبيك حيث أمضى فصل الشتاء قبل سفره في زورق مزوّد بمجاديف عبر البحيرات العظمى واضعًا خارطة الشواطئ.
- 29 تموز/يوليو 1721 انطلاقه من الجانب الشرقي لبحيرة ميشيغان ووصوله إلى نهر سانت جوزيف.
- أيلول/ سبتمبر 1721 توقفه لمدة شهر في قلعة سانت جوزيف حيث أجرى دراسة عن شعوب ميامي.
- كانون الأول/ديسمبر 1721 إمضاؤه عيد الميلاد في ناتشيز على ضفاف المسيسيبي.
- 10 كانون الثاني/يناير 1722 وصوله إلى نيو أورلينز.

مصادقة السايوكس

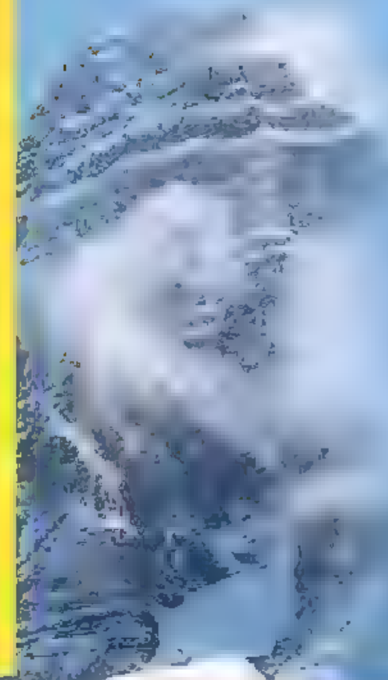
افترض دو شارلفوا وجود شعوب تقيم غرب منطقة السايوكس، قرب البحر الغربي. واقترح على الحكومة الفرنسية التودد إلى قبائل السايوكس. ومع أن التجار الفرنسيين كانوا قد عقدوا تحالفات معهم، فإنه لم يكد يمضي قرن ونصف حتى دخل السايوكس في نزاعات دامية مع المستوطنين.



سيتينغ بول، زعيم من السايوكس حارب الجيش الأميركي في القرن التاسع عشر.

الحدود الجديدة

عام 1803، اشترى الرئيس الأميركي توماس جيفرسون من الفرنسيين الأراضي الواقعة غربي نهر المسيسيبي مقابل 15 مليون دولار أميركي. وأرسل بعثة استكشافية إلى تلك المنطقة للوقوف على حقيقة الأراضي التي اشتراها.

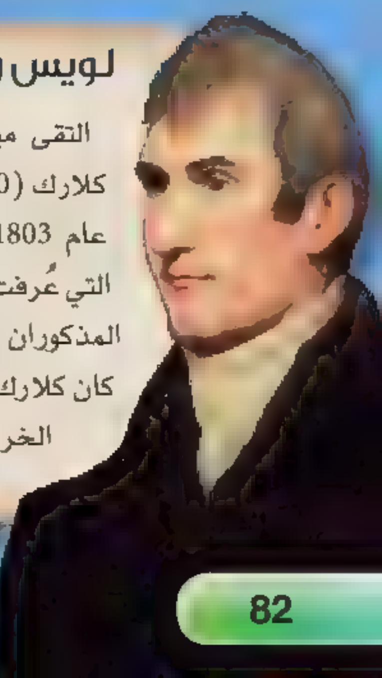


السفر في اتجاه الغرب

قاد البعثة الاستكشافية أمين سر جيفرسون، ميريويزر لويس وصديقه ويليام كلارك. وطلب منهما استكشاف الأرض الجديدة التي تم شراؤها وإيجاد طريق من خلالها إلى سواحل الأطلسي. في أيار/مايو 1804، انطلق لويس وكلارك من سانت لويس على ضفاف المسيسيبي واجتازا نهر ميسوري في زورق مزوَّد بمجاديف وصولًا إلى جبال الروكي.

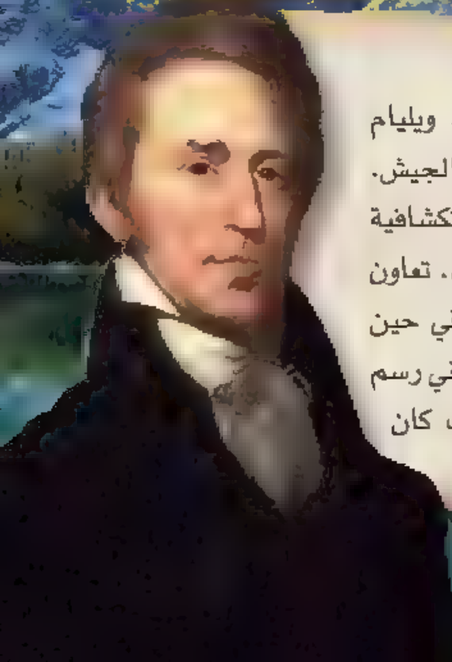
الإطار الزمني:

- 14 أيار/مايو 1804: مغادرة لويس وكلارك سانت لويس عبر نهر ميسوري.
- تشرين الأول/ أكتوبر 1804: إمضاء البعثة فصل الشتاء في داكوتا الشمالية مع هنود الماندان.
- 9 نيسان/أبريل 1805: انطلاق البعثة في اتجاه الغرب.
- أيلول/ سبتمبر 1805: عبورهم جبال الروكي.
- 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1805 وصولهم إلى ساحل المحيط الهادئ وبناؤهم حصن كلاتسوب لإمضاء الشتاء فيها.
- آذار/مارس 1806: عودة البعثة أدراجها وعبورها نهر الميسوري في الزوارق.
- 23 أيلول/ سبتمبر 1806: عودة البعثة إلى سانت لويس ظافرة.



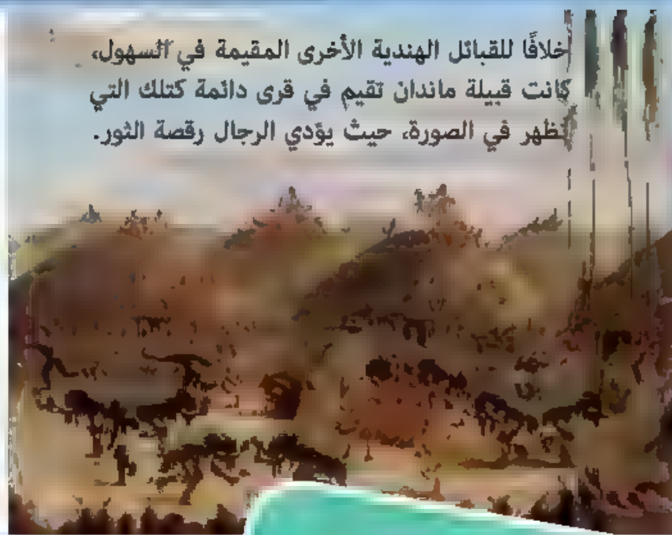
لويس وكلارك

التقى ميريويزر لويس (1774–1809) وصورته إلى اليمين، ويليام كلارك (1770–1838)، وصورته إلى اليسار، خلال خدمتهما في الجيش. عام 1803، طلب لويس من كلارك الانضمام إلى البعثة الاستكشافية التي عُرفت باسم «كوربس أوف ديسكفوري» بصفة مساعد القائد. تعاون المذكوران معًا بشكل وثيق، فبرع لويس في الشؤون التنظيمية، في حين كان كلارك يتمتع بخبرة واسعة في تقنيات البقاء ومهارات فائقة في رسم الخرائط. ومع أنهما تشاركا مهمات القيادة، فإن كلارك كان المرشد الرئيسي عبر جبال الروكي الوعرة والخطيرة.



مودة السكان المحليين

أمضى لويس وكلارك فصل الشتاء الأول مع قبيلة الماندان، وهي قبيلة من الهنود الذين يمارسون الزراعة والصيد. وخلال وجودهما في ذلك، التقيا صائد حيوانات لبيع فرائها من مونتريال يُدعى توسان شاربونيه، متزوجًا من ساكاجاوي من قبيلة شوشوني الهندية. وإذ أعرب شاربونيه عن رغبته في الانضمام إلى البعثة، أثبتت زوجته مهاراتها القيمة كمترجمة وساعدت البعثة خلال عبورها في المناطق التي يمكن أن تكون معادية.



خلافًا للقبائل الهندية الأخرى المقيمة في السهول، كانت قبيلة ماندان تقيم في قرى دائمة كتلك التي تظهر في الصورة، حيث يؤدي الرجال رقصة الثور.

مذهل!

في آب/أغسطس 1805، تمكنت البعثة من التواصل مع قبيلة شوشوني للمرة الأولى. إذ اصطحبتهم ساكاجاوي التي كانت تقوم بدور المرشد، لمقابلة القبيلة، وتبين أن زعيمها هو شقيقها الذي فقد منذ زمن طويل.

اجتياز جبال الروكي

اجتازت البعثة جبال الروكي على ظهور الخيول قبل أن تنطلق في زوارق نحو نهر كولومبيا لتصل إلى ساحل المحيط الهادئ في تشرين الثاني/ نوفمبر 1805. ومع أن الطريق المؤدية إلى سواحل المحيط الهادئ التي تمكنوا من إيجادها لم تكن سهلة، فإنهم تواصلوا خلال رحلتهم مع عدد كبير من القبائل وجمعوا معلومات وافية عن هذه الأراضي الشاسعة.

تقع جبال الروكي على الطريق المؤدية إلى المحيط الهادئ والتي تبين أن اجتيازها ينطوي على الكثير من المشقات.

الأراضي المعادية

واجهت البعثة تحديات لا تعد ولا تُحصى في أثناء عبورها جبال الروكي. إذ كانت تتعرض لهجمات الدببة الرمادية التي طاردت في إحدى المرات ستة رجال في النهر. وفي وقت آخر، شن جاموس هجومًا مباشرًا على المكان الذي نصبوا فيه خيامهم.



تُعدّ الدببة الرمادية من المخاطر المستدامة في جبال الروكي.

الانفتاح على الغرب

في بداية الأربعينيات من القرن التاسع عشر، لم تكن أراضي الولايات المتحدة قد توسعت غربًا لتصل إلى المحيط الهادئ. فمع أن كاليفورنيا كانت خاضعة لسيطرة المكسيك، فإن الولايات المتحدة تولّت زمام الحكم في أوريغون بالتضامن مع بريطانيا. ولم تجد الحكومة الأميركية بدًا من استيطان هذه المناطق على أمل أن تتمكن في نهاية المطاف من المطالبة بها كأراض أميركية.

ماذا بعد؟

عام 1843، سلك الرواد الأوائل طريق أوريغون ترايل وفق الخريطة الجديدة التي رسمت لها. ومع حلول عام 1845، تجاوز عدد الأشخاص الوافدين سنويًا إلى تلك المنطقة الخمسة آلاف.

أوريغون تريل

ساهم المستكشف جون فيرمونت في فتح أبواب الغرب أمام المستوطنين المحتملين. فخلال بعثته الاستكشافية الأولى عام 1842، قام بمسح الطريق من المسيسيبي غربًا نحو الممر الجنوبي في جبال الروكي الذي يبلغ عرضه 32 كلم. في السنة التالية، اجتاز الممر مساهمًا بالتالي في فتح الطريق إلى أوريغون تريل ومنها إلى نهر كولومبيا والساحل.



كان الرواد يسافرون عبر أوريغون تريل في قوافل مؤلفة من نحو عشر عربات.

حمل الراية

كان جون فرمونت (1813 – 1890) ابن مدرّس لغة فرنسية. مع حلول عام 1838 باشر بمسح أراضٍ جديدة لصالح الفيلق المعني بالمسح الطوبوغرافي. وتمكّن بالتالي من جمع ثروة خلال حمى الذهب في كاليفورنيا عام 1848، لكنه خسر نقوده كلها وتوفي وهو في بؤس.



كان فرمونت يرفع هذه الراية خلال بعثاته الاستكشافية كافة. فالنسر الذي يحمل غليونًا يرمز إلى الصداقة مع الهنود.

كيت كارسون



كان كيت كارسون (1809 – 1868) صياد حيوانات من بون ليك في ميسوري، استخدمه فرمونت كمرشد ليرافقه إلى جبال روكي. وصف فرمونت كارسون بأنه أبرع مرشد للمناطق الجبلية عرفه في حياته بحيث رافقه في رحلاته الاستكشافية كافة.

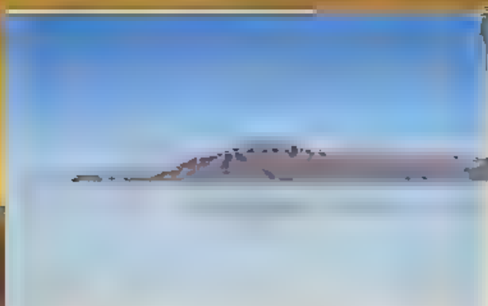
طريق كاليفورنيا تريل



عام 1845، انطلق فرمونت في رحلته الثانية وفتح طريقًا جديدًا عبر البحيرة المالحة الكبرى وصولًا إلى ساكرامنتو في كاليفورنيا. فبعد انتهاء الحرب مع المكسيك، وضعت الولايات المتحدة يدها، عام 1847، على كاليفورنيا وغيرها من المناطق المكسيكية، في الوقت الذي تنازل فيه البريطانيون عن حقوقهم كافة في أوريغون. ما ساهم في امتداد الحدود الأميركية وبلوغها ساحل المحيط الهادئ، كما بدأ المستوطنون الجدد بالسفر على طول الطرق التي مهدها لهم فرمونت.

البحيرة المالحة الكبرى

في 6 أيلول/ سبتمبر 1843، شاهد فرمونت ورجاله البحيرة المالحة الكبرى ووصفوا المنطقة المحيطة بأنها ملائمة لإنشاء مستوطنة. ما أغوى أفراد الفرقة الدينية المسيحية المعروفين بالمرمون، أتباع بريغهام يونغ. غير أن بريغهام هذا وصف المنطقة في وقت لاحق بالصحراء.



تتميز مياه البحيرات المالحة الكبرى بكونها أكثر ملوحة من مياه البحر.

الإطار الزمني:

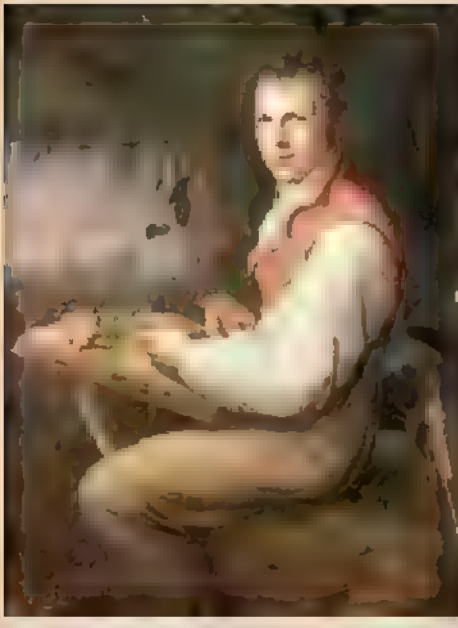
- 1842: إجراء فرمونت مسحًا للطريق من المسيسيبي إلى الممر الجنوبي.
- 1843 - 1844: في رحلته الثانية، فتح فرمونت الطريق إلى أوريغون تريل ثم سافر في اتجاه جنوبي كاليفورنيا قبل أن يقوم برحلة طويلة وشاقة في اتجاه الشرق عبر سييرا نيفادا.
- آذار/مارس 1845: إجراء فرمونت مسحًا للطريق من كاليفورنيا تريل إلى ساكرامنتو.
- آذار/مارس 1846: رفع فرمونت العلم الأميركي في كاليفورنيا.
- 1848: معاهدة غوادالوبه- هيدالغو التي منحت الولايات المتحدة حق السيطرة على كاليفورنيا، نيفادا، أوتا، وأجزاء من أريزونا ونيو مكسيكو.

الاستكشافات العلمية

بعد اكتشاف الرحالة أراضي جديدة، انطلق العلماء في رحلات استكشافية لسبر أغوار الطبيعة في تلك المناطق والتعرف عن كثب على نباتات جديدة وحياة برية نادرة. ساهمت هذه الاكتشافات، ولاسيما في المحيط الغني لغابات الأمطار في الأمازون، في تحقيق تقدم لافت في حقل المعرفة العلمية.

دراسات عن أميركا الجنوبية

عام 1735، أبحر شارل ماري دو لا كوندامين (1701 - 1774) إلى الإكوادور بهدف قياس حجم الأرض ورسم شكلها، أو ما يعرف بعلم الجيوديسية. فأمضى فترة من الزمن في تلك المنطقة لدراسة النباتات والحيوانات التي تعيش فيها. وفي بداية القرن التاسع عشر، قام الألماني ألكسندر فون هومبولت برحلة استكشافية إلى جبال الأنديز، برفقة الفرنسي إيميه بونبلان (1773 1858) حيث عثرا على 3000 جنس جديد من النباتات.



ألكسندر فون هومبولت

بعد رحلته الاستكشافية إلى نهر أورينوكو في فنزويلا، توجه هومبولت (1769-1859) إلى جبال الأنديز، مرورًا بالكاريبي والبيرو. سجل اكتشافات بارزة في كثير من الميادين العلمية ووصفه شارلز داروين بأنه «أبرز رحالة علمي عرفه التاريخ».



رسوم لبعض الفراشات التي عثر بيتس عليها في الأمازون.

هاوي الجمع

كان هنري بيتس (1825 - 1892) محرر إنكليزي، وشديد الولع بعلم النبات. بعد إمضائه 11 سنة في أميركا الجنوبية، عاد إلى بريطانيا حاملًا معه ما يقارب الـ 14 ألف عينة من الحشرات والفراشات. وتبين أن العلماء الأوروبيين في تلك الحقبة لم يكونوا يملكون أدنى فكرة عن نصف هذه الأجناس على الأقل.

العصر الذهبي

عُدَّ القرن التاسع عاشر العصر الذهبي للاستكشافات العلمية. فقد أمضى كل من هنري بيتس، وألفريد والاس (1823-1913) وريتشارد سبراوس (1817 - 1893) سنوات طويلة في الأمازون حيث كانوا يجمعون عينات من الحيوان والنبات. من جهته، قام شارلز داروين (1809 - 1882) بزيارة أرخبيل غالاباغوس عام 1835. ومن خلال ملاحظاته للحياة البرية الاستثنائية على الجزيرة، تمكن من تطوير أفكاره عن كيفية تطور الكائنات الحية ضمن نظرية التطور الشهيرة.

تُعدّ غابات الأمطار في الأمازون من المحيطات الطبيعية الأكثر غنى في العالم، حيث لا تزال الآلاف أو الملايين من الأجناس غير مكتشفة بعد.

الإطار الزمني:

- 1735 - 1744: دراسة لا كوندامين الحياة البرية في الإكوادور.
- 1799 - 1804: استكشاف هومبولت وبونبلان نهر أورينوكو وجبال الأنديز.
- 1832 1835: إبحار داروين حول أميركا الجنوبية وأرخبيل غالاباغوس على متن « ذي بيغل».
- 1848 1852: جمع والاس الآلاف من الأجناس التي خسرها كلها في حريق.
- 1849-1864: جمع سبراوس عينات نباتية في الأمازون.
- 1850-1859: جمع بيتس عينات من الحشرات من الأمازون.

ماذا بعد؟

بعد إمضائه أربع سنوات في غابات الأمطار في الأمازون، أبحر والاس عائدًا إلى دياره عام 1852. غير أن النيران اشتعلت في السفينة قبالة برمودا وخسر العينات كافة والملاحظات التي جمعها.



الاكتشافات الحديثة

يواصل العلماء بذل الجهود لاكتشاف المزيد من الأجناس النباتية والحيوانية. ومع أن عدد الأجناس التي تم اكتشافها لغاية الآن ناهز المليوني جنس، فإنه لا يزال أكثر من 50 مليون جنس غير مكتشف بعد. فخلال السنوات العشرين الأخيرة، تم العثور على ما قارب الـ 2000 نوع جديد من الحيوانات البرمائية.

يجري سنويًا اكتشاف أنواع جديدة من الحيوانات البرمائية، مثل ضفدع الأشجار هذا الذي يكثر في أميركا الجنوبية.



داخل أفريقيا

مع حلول القرن السادس عشر، كان البرتغاليون قد استكشفوا الجزء الأكبر من الخط الساحلي لقارة أفريقيا، في حين ظلت المناطق الداخلية مجهولة بالنسبة إلى الأوروبيين الذين لم يكن لديهم أدنى فكرة عن إمبراطوريتها وممالكها العظيمة أو حتى عن أنهرها الكبرى كالنيل والنيجر والكونغو وزامبيزي. وفي أواخر القرن التاسع عشر، قرر المستكشفون الأوروبيون الذهاب لسبر أغوار تلك القارة المجهولة المعالم بالنسبة إليهم.



مجرى النيجر

عام 1788، أسس جوزيف بانك، الذي أبحر برفقة الكابتن كوك في رحلته الأولى إلى المحيط الهادئ، الجمعية الأفريقية في لندن، التي عهدت إلى مونغو بارك مهمة استكشاف نهر النيجر، أو النهر العظيم الذي يجري في غرب أفريقيا.

المشاهدة الأولى للنهر

وصل بارك إلى مصب نهر غامبيا عام 1795 ثم توغل في المناطق الداخلية. غير أنه ما لبث أن أصيب بحمى أعاقت تقدم بعثته لمدة شهرين. وإذ وجد نفسه مرغمًا على السفر برفقة مرشدين فقط بعد أن رفض معظم السكان المحليين مرافقته، كان بارك ضحية سهلة للجنود العرب الذين ألقوا القبض عليه قرب نهر السينغال وسجنوه لمدة خمسة أشهر. إلا أنه تمكن من الفرار من السجن ليصل إلى سيغو على ضفاف نهر النيجر.



مانغو بارك

كان سكوت مانغو بارك (1771 – 1806) يعمل طبيبًا في شركة الهند الشرقية. عرض عليه جوزيف بانكس استكشاف نهر النيجر نظرًا إلى إعجابه الشديد بوصفه الدقيق لأجناس جديدة من الأسماك.

مذهل!

عندما اشتد المرض على بارك، سهر سكان إحدى القرى الصغيرة الواقعة على ضفاف نهر النيجر على رعايته ليستعيد عافيته.



الأراضي الإسلامية

كان نهر النيجر يجري في قلب مناطق غرب أفريقيا التي تعتنق الدين الإسلامي. فإمبراطورية مالي الإسلامية العظيمة تمكنت من بسط نفوذها على المنطقة ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر، كما قامت تمبكتو الواقعة إلى شمالي النهر بدور المركز الإسلامي الثقافي الرئيسي. ما يعني أن الزائرين المسيحيين أمثال بارك، لم يكن مرحبًا بهم على الإطلاق.



مسجد في غرب أفريقيا مبني من الطين

نهر النيجر

يتبع نهر النيجر من مرتفعات غينيا ويجري في الاتجاه الشمالي الشرقي وصولاً إلى تمبكتو قبل أن ينعطف ليصب في خليج غينيا. ذهل المستكشفون الأوروبيون الأوائل لدى اكتشافهم كيفية جريانه بعيدًا من الساحل.



زورق يشق طريقه عبر مياه نهر النيجر الكبير.

الإطار الزمني:

- تموز/يوليو 1795 توغل بارك في المناطق الداخلية بعد انطلاقه من قرب مصب نهر غامبيا.
- شباط/فبراير 1796 وقوع بارك في أسر الجنود العرب.
- حزيران/يونيو 1796 فرار بارك ووصوله إلى سيغو على ضفاف النيجر.
- نيسان/أبريل 1805 إبحار بارك في رحلته الثانية.
- آب/أغسطس 1805 إبحاره في نهر النيجر وعبوره تمبكتو.
- 1806 تعرُّضه للهجوم قرب شلالات بوسا وغرقه في النهر.

الموت عند المساقط المائية

مع عودته إلى دياره، اكتسب بارك شهرة واسعة بفضل السجل الذي وضعه عن رحلاته تحت عنوان « رحلات إلى المناطق الداخلية من أفريقيا». في عام 1805، عاد إلى قارة أفريقيا لتتبع مسار نهر النيجر وتحديد طوله. ومع عبوره تمبكتو، انحرف النهر عن مساره في اتجاه الجنوب. فتابع بارك رحلته في زورق وصولاً إلى شلالات بوسا الواقعة حاليًّا في شمالي نيجيريا. في تلك البقعة، تعرض لهجوم من قبل السكان المحليين ووقع في الشلالات وغرق.



نساء من مالي يمشين بخطى سريعة على ضفاف نهر النيجر.

طرف نهر النيجر

على الرغم من قيام بارك برحلتين استكشافيتين، فإن المجرى الفعلي لنهر النيجر ظلّ مجهولًا. لذا، كان لا بد من تنظيم بعثة استكشافية جديدة. وفي عام 1822، انطلق المستكشفون البريطانيون ديكسون دنهام، وهيو كلابرتون ووالتر أودني من طرابلس في شمال أفريقيا للتأكد مما إذا كان النهر يمر عبر سلطنة كانم حول بحيرة تشاد.



هيو كلابرتون

غادر الاسكتلندي هيو كلابرتون (1788–1827) منزله في سن السابعة عشرة للانضمام إلى سلاح البحرية. وكان قد رقي إلى رتبة ملازم حين طلب منه المشاركة في البعثة الاستكشافية إلى النيجر. أغدق الكثيرون عليه الثناء لمعارضته تجارة العبيد في المنطقة.

صوب البحر

عاد كلابرتون إلى النيجر عام 1825 برفقة خادمه ريتشارد ليمون لاندر (1804 – 1834). وانطلق من خليج غينيا في الاتجاه الشمالي ثم سلك طريقًا ملتويًا ليصل إلى سوكوتو حيث لقي حتفه. فاضطر لاندر للعودة إلى لندن. عام 1830، عاد لاندر برفقة شقيقه جون (1807 – 1839) إلى النيجر، وتوغلا معًا في المناطق الداخلية. وبعد انطلاقهما من باداغري وصلا إلى أعلى نهر النيجر من بوسا، وتابعا طريقهما في الزورق ليبلغا المصب، حيث تمكنا من أن يثبتا بأن نهر النيجر يصب في خليج غينيا.

الإطار الزمني:

- شباط/فبراير 1822: انطلاق كلابرتون، أودني ودنهام من طرابلس.
- شباط/فبراير 1823: مشاهدة كلابرتون واودني بحيرة تشاد.
- كانون الأول/ديسمبر 1825 عبور كلابرتون ولاندر نهر النيجر في بوسا.
- نيسان/أبريل 1827: وفاة كلابرتون بعد إصابته بالزحار.
- كانون الثاني/يناير 1830 سفر الأخوان لاندر إلى النيجر.
- تشرين الثاني/نوفمبر 1830: وقوع الأخوان لاندر في أسر الأغبو وبيعهما لتاجر عبيد: انهى ريتشارد رحلته من خلال التجديف على متن زورق ملكي.

عبور الصحراء

بعد وقوع عدة خلافات بينهم، قرر دنهام الانفصال عن الاثنين الآخرين، سانحًا بالتالي الفرصة أمام كلابرتون وأودني ليكونا أول أوروبيين يشاهدان بحيرة تشاد. انطلق بعدها كلابرتون وأودني في رحلة تعقب مسار نهر النيجر، لكن أودني أصيب بالمرض وتوفي. فالتقى بعدها كلابرتون دنهام وعادا معًا إلى إنكلترا.

الأغبو

خلال عبور الأخوين لاندر نهر النيجر بالزورق، وقعا في أسر ملك الأغبو الذي أخذهما رهينتين وطالب بفدية. فاشترى أحد تجار العبيد أحد الأخوين لاندر وأبقى جون في الأسر لفترة طويلة. أما رتشارد فعمل كعبد على متن الزورق الملكي المزود بأربعين مجدافًا. وتمكن من خلال عمله على متن ذلك الزورق من إنجاز رحلته إلى مصب نهر نيجر.


قناع احتفالي متقن يعود إلى شعب الأغبو.

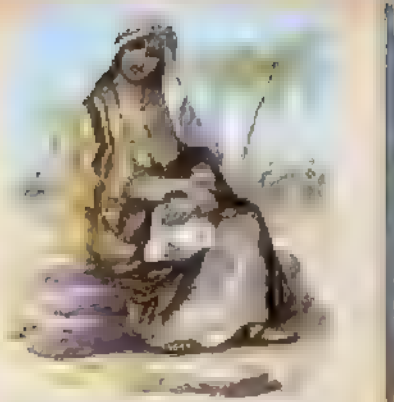
ماذا بعد؟

عاد ريتشارد لاندر إلى النيجر عام 1832. تعرضت البعثة الاستكشافية للهجوم وأصيب لاندر بجروح. فاختبأ في جزيرة فرناندو بو حيث توفي.



عبور الصحراء الكبرى

على الرغم من عبوره بالزورق قبالة تمبكتو، فإن مونغو بارك لا يمكن أن يكون قد توقف في تلك المدينة المحظورة على الغرباء، خشية أن يتعرض للقتل مع أفراد طاقمه على أيدي سكانها المسلمين. غير أن أحد المواطنين الفرنسيين كان مصممًا على زيارة «ملكة الصحراء» الأسطورية.



رينيه كايييه

في طفولته، كان رينيه أوغست كايييه (1799 - 1838) مهووسًا بقارة أفريقيا. مع بلوغه سن السادسة عشرة، عمل خادمًا على متن إحدى السفن التي تقصد تلك القارة. ووُصف لاحقًا بأنه أحد المستكشفين الأكثر جدارة بالثقة في أفريقيا.

السفر متخفيًا

نظم رينيه كايييه رحلتين إلى غرب أفريقيا واضطر في المرتين لإنهاء رحلته بسبب اشتداد المرض عليه. لكن النجاح كان حليفه في الرحلة الثالثة التي نظمها عام 1827. فقد اختار أن يقصد تلك المنطقة متنكرًا بزي رجل مصري عربي، ولاسيما أنه كان يتحدث العربية بطلاقة. فانطلق من غينيا برًّا برفقة قافلة صغيرة من التجار الزنوج المتوجهين إلى النيجر وتوغل بعدها في المناطق الداخلية. وإذ ادعى كايييه أنه في طريق العودة إلى موطنه في مصر، فإن الناس كانوا يحسنون معاملته حيثما ذهب.



قافلة من الجمال تعبر الصحراء محملة بالملح المخصص للبيع.

التجارة في الصحراء:

على مدى عصور طويلة، كانت قوافل التجار الكبيرة تعبر الصحراء الكبرى لنقل السلع الثمينة كالذهب وريش النعام من المدن المختلفة ومنها تمبكتو إلى شمال أفريقيا. وكانوا يعودون جنوبًا محملين بالملح، والملابس، والزجاج، والخزفيات والخيول.

تمبكتو

تقع مدينة تمبكتو على بعد بضع ساعات سيرًا على الأقدام من النيجر. هذه المدينة، التي كانت في الماضي مركزًا لتعليم الديانة الإسلامية، تعتمد بشكل كامل على تجارة النيجر والقوافل العابرة للصحراء الخاضعة لسيطرة التجار من الطوارق.


مبنى تقليدي طيني في تمبكتو.

الإطار الزمني:

- نيسان/أبريل 1827: انضمام كاييه إلى قافلة تجارية متجهة نحو المناطق الداخلية في ريو نونيز.
- 11 حزيران/يونيو 1827: وصوله إلى تيميه حيث أصيب بتورم ونزف من اللثة.
- 9 كانون الثاني/يناير 1828: مغادرته برفقة قافلة متجهة إلى جينيه.
- 23 آذار/مارس 1828: سلطان جينيه يسلم كاييه رسالة موجهة إلى التجار في تمبكتو.
- 20 نيسان/أبريل 1828: دخوله تمبكتو.
- 4 أيار/مايو 1828: مغادرته تمبكتو وعبوره الصحراء برفقة قافلة مؤلفة من 1400 جمل.

مذهل!

عام 1826، كان المستكشف الاسكتلندي ألكسندر غوردون لاينغ أول رجل أوروبي تطأ قدماه تمبكتو. قتله مرشده بعد وقت قصير من مغادرته المدينة.

المدينة المخيبة للآمال

في تيميه الواقعة جنوبي النيجر، انضم كاييه إلى قافلة متجهة شمالًا إلى جينيه على ضفاف نهر النيجر. وتابع بعدها طريقه بحرًا على متن سفينة شحن مسافرة في اتجاه مجرى النهر إلى تمبكتو. دخل المدينة المحظورة في نيسان/ابريل 1828، لكنه أصيب بخيبة أمل لدى رؤيته مجموعة من الأكواخ المبنية من الطين، وليس المدينة الباهرة التي كان يتخيلها. فغادر تمبكتو بعد أسبوعين وعبر الصحراء الكبرى وصولًا إلى بر الأمان في المغرب.

داخل الصحراء

بعد أن مهد كاييه الطريق، بدأ الأوروبيون بالتوافد إلى ما كان يُعرف سابقًا بالصحراء غير المستكشفة. وكان الألماني هاينريش بارت الأوفر حظًا ضمن تلك الموجة من المستكشفين.

التوق إلى السفر في اتجاه الجنوب

عام 1844، وصل بارت إلى المغرب ثم شق طريقه نحو الشرق على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط وصولاً إلى الاسكندرية في مصر. لقد تعلم الكثير خلال هذه الرحلة، لكنه كان يتوق إلى التوجه جنوبًا والتوغل في الصحراء. فعاد إلى شمال أفريقيا عام 1850 وقد عقد العزم على عبور الصحراء. ومع وصوله إلى طرابلس في ليبيا، انضم إلى البعثة الاستكشافية الإنكليزية المختلطة التي جمعت ما بين العلماء وخبراء الاقتصاد، برعاية الحكومة البريطانية.



هاينريش بارت

واجه هاينريش بارت (1821 – 1865) صعوبة في التعامل مع الآخرين؛ فأرسله والده في طفولته إلى شمال أفريقيا في محاولة منه لتحسين مهاراته الاجتماعية. وعلى الرغم من فشل هذه المحاولة، فإن تلك الرحلة ساهمت في زرع حب السفر في قلب هاينريتش.



بارت (على ظهر الجمل) وهو يدخل تمبكتو متنكرًا في زي رجل دين يسعى إلى نشر الكتب الدينية.

مذهل!

أمضى بارت فترة طويلة جدًا في الصحراء حتى ظن الكثيرون في أوروبا أنه توفي. وبعد فشل فريق إنقاذ في العثور عليه، تم نشر نعيه في الصحف.

الإطار الزمني:

- آذار/مارس 1850: انضمام بارت إلى بعثة استكشافية في طرابلس.
- نيسان/أبريل 1850: اكتشافه آثارًا رومانية في واحة مرزق.
- حزيران/يونيو 1850: اكتشافه لوحات من العصر الحجري في جبال هقار.
- نيسان/أبريل 1851: استكشافه المنطقة حول بحيرة تشاد.
- أيلول/ سبتمبر 1853: وصوله إلى تمبكتو حيث أمضى بضعة أشهر قبل عودته إلى بحيرة تشاد.
- أيلول/ سبتمبر 1855: عودته إلى طرابلس.

الطوارق



رجل من الطوارق يرتدي اللثام، وهو عبارة عن رداء طويل ملفوف حول الرأس والوجه.

في القرن التاسع عشر، تمكن الطوارق البدو من البقاء على قيد الحياة، على الرغم من ظروف العيش القاسية في الصحراء، من خلال شن الهجمات على القبائل المجاورة وفرض الخوات على القوافل التي تعبر الصحراء. في بادئ الأمر، تعامل البدو بعدائية مع بارت، لكنهم سمحوا له في نهاية المطاف بعبور الصحراء.

المستكشف المثقف

وضع بارت، الذي كان مؤرخًا، ولغويًّا، وعالمًا بالجغرافيا إلى جانب كونه مستكشفًا، سجلات مفصلة عن الأراضي التي مر بها. فقد اكتشف في الصحراء لوحات تعود إلى العصر الحجري وتظهر أنها كانت في الماضي أرضًا خصبة. كما سجل 40 لغة محلية محكية حول بحيرة تشاد، وزار تمبكتو مؤكدًا على نظرة كابيه للمدينة (راجع صفحة 94-95).



نقطة التقاء الشمال بالجنوب

عام 1851، أقام بارت في مدينة كانو المزدهرة تجاريًا، والواقعة فيما يُعرف حاليًّا بشمالي نيجيريا. كانت تلك المنطقة مركزًا للشبكات التجارية الشاملة الممتدة جنوبًا في اتجاه الساحل وشمالاً عبر الصحراء. وضع بارت القواعد الأساسية للتبادلات التجارية الأوروبية المستقبلية في المنطقة.

سوق كورمي في كانو، الذي تم إنشاؤه في القرن الخامس عشر ولا يزال يستخدم حتى يومنا الحالي.



البحث عن المنبع

في الوقت الذي انشغل فيه المستكشفون في غرب أفريقيا بالبحث عن منبع ومجرى نهر النيجر، أثار منبع نهر النيل حيرة المستكشفين في شرق أفريقيا. فالجميع كان يعلم عن مجراه عبر مصر وصولًا إلى البحر المتوسط، ولكن من أين ينبع هذا النهر العظيم؟



جايمس بروس

بعد وفاة زوجته، سافر الاسكتلندي جايمس بروس (1730 - 1794) إلى ليشبونة والبرتغال. ولدى وفاة والده بعد مرور أربع سنوات، ورث ما يكفي من المال ليمضي حياته متنقلًا من بلد إلى آخر. فزار أفريقيا للمرة الأولى عام 1763.

داخل أثيوبيا

كان جايمس بروس من أول المستكشفين الذين انشغلوا بالبحث عن منبع نهر النيل. في عام 1768، أبحر برفقة 20 رجلًا تقريبًا من القاهرة في نهر النيل باتجاه المجموعة الأولى من المساقط المائية (الشلالات) في أسوان. وتوجه بعدها شرقًا عبر الصحراء وصولًا إلى البحر الأحمر حيث استأجر باخرة لنقله إلى مصوع فيما يُعرف حاليًا بأريتريا. توغلت بعدها المجموعة في المناطق الداخلية لتصل إلى جوندر، عاصمة الحبشة (المعروفة حاليًا بأثيوبيا)، حيث حظي بروس بحماية الإمبراطور الحاكم وشارك في الحرب الأهلية التي كانت مندلعة في البلاد.



أرض القرود

تتغذى بحيرة تانا الواقعة في شمالي غربي أثيوبيا من أكثر من 60 مجرى مائيًا، ومنها ما يُعتقد أنه منبع نهر النيل الأزرق. أثبت جايمس بروس وجود ما يقارب الـ 45 جزيرة غير مأهولة على ضفاف البحيرة، معظمها يضم أديرة مسيحية.

الإطار الزمني

- 1768: إبحار بروس برفقة 20 رجلًا من القاهرة في نهر النيل باتجاه أسوان ومن ثم برًّا باتجاه البحر الأحمر.
- 1769: إبحار بروس في البحر الأحمر وتوقفه في جدة في شبه الجزيرة العربية وذلك قبل أن يحط في مصوع ويتوغل في الأراضي الداخلية باتجاه الحبشة.
- شباط/فبراير 1770: وصوله إلى جوندر حيث حظي بحماية الإمبراطور الحبشي ومساعديه.
- تشرين الثاني/ نوفمبر 1770: وصوله إلى بحيرة تانا.

على ضفاف بحيرة تانا

لدى مغادرته جوندر، توجه بروس جنوبًا في اتجاه بحيرة تانا، منبع النيل الأزرق. كان بروس يظن أن النيل الأزرق هو الرافد الرئيسي لنهر النيل. ومع أن ظنونه لم تكن في محلها لأن النيل الأبيض هو الرافد الرئيسي، فإن بروس كان جذلًا بما حققه «.. أقف في هذه البقعة التي أثارت حيرة العباقرة والصناعيين، وجعلت القدماء والمعاصرين يتساءلون عن المجرى الذي يعود إلى ثلاثة آلاف سنة...ومع أنني مواطن بريطاني عادي، فإنني انتصرت هنا»...

ماذا بعد؟

لدى عودة بروس إلى دياره، ظن الكثيرون أن القصص التي رواها عن رحلته من بنات أفكاره. ولم يصدق أحد ما رواه إلا بعد أن زار الآخرون المنطقة.



شلالات النيل الزرقاء حيث يصب النيل الأزرق في بحيرة تانا.

إلى بحيرة فيكتوريا

كان الإغريق القدماء يؤمنون بأن نهر النيل ينبع من أعالي الجبال. عام 1848، رأى أحد المبشرين الألمان جبلًا مكللًا بالثلج قرب خط الاستواء؛ إنه جبل كليمنجارو البركاني الذي لا يرتبط بأدنى صلة بنهر النيل، لكنه أثار الاهتمام بمنبع النهر.

البحيرة الوهم

عام 1856، أرسلت الجمعية الجغرافية في لندن بعثة استكشافية لحل هذا اللغز بصورة حاسمة. شق ريتشارد بورتون وجون سبيك طريقهما من زانزيبار وتوغلا في المناطق الداخلية وصولًا إلى قازح (تابورا) الواقعة غرب تانزانيا. وتوجها بعدها غربًا إلى أودجيجي على ضفاف بحيرة تنجانيقا.

كان بورتون مقتنعًا بأن نهر النيل ينبع من ذلك المكان، إلا أنه لم يعثر على أي نهر نابع من البحيرة ويجري شمالًا.



ريتشارد بورتون

أثارت شخصية ريتشارد بورتون (1821–1890) الكثير من الجدل في القرن التاسع عشر. ولقد نشر أكثر من 50 كتابًا، بما في ذلك ترجمة واضحة لحكايات ألف ليلة وليلة التي غالبًا ما توصف بأنها مثيرة للشهوات الجنسية.



جون هانينغ سبيك

غادر جون هانينغ سبيك (1827 – 1864) منزل ذويه في سن السابعة عشرة للانضمام إلى جيش الهند البريطاني. وكان يمضي معظم أوقات فراغه في استكشاف جبال الهيمالايا. التقى سبيك بورتون للمرة الأولى خلال بعثة استكشافية إلى الصومال عام 1854. وكاد يلقى حتفه عندما شن رجال إحدى القبائل هجومًا عليهم، لكنه تمكن من أن يستعيد عافيته لينضم إلى بورتون في رحلتهما الاستكشافية الثانية عام 1857.

الإطار الزمني:

- 17 حزيران/يونيو 1857: انطلاق بورتون وسبيك من زانزيبار وتوغلهما غربًا.
- كانون الأول/ديسمبر 1857: توجههما نحو أودجيجي.
- 13 شباط/فبراير 1858: وصولهما إلى بحيرة تنجانيقا.
- نيسان/أبريل 1858: توقف بورتون في أودجيجي ومتابعة سبيك طريقه نحو الشمال.
- 30 تموز/يوليو 1858: وصول سبيك إلى بحيرة فيكتوريا.
- 1859: عودة سبيك إلى لندن وعرضه نظريته عن منبع نهر النيل أمام بورتون الذي كان قد عاد من أفريقيا ولم يؤيد سبيك في نظريته.


طائر أبو سعن الأفريقي يقتات البقايا على ضفاف بحيرة تنجانيقا.

بحيرة تنجانيقا

عندما اكتشف بورتون وسبيك بحيرة تنجانيقا عام 1858، وحده بورتون تمكن من مشاهدتها لأن الحمى التي أصيب بها سبيك أعمت نظره لبعض الوقت. تجري مياه بحيرة تنجانيقا، وهي ثاني أكبر بحيرة في أفريقيا بعد بحيرة فيكتوريا، عبر نهري لوكاكو وكونغو وصولًا إلى المحيط الأطلسي.

العثور على بحيرة فيكتوريا

عاد بورتون وسبيك إلى قازح حيث افترقا ليتوجه بعدها سبيك شمالًا. في تموز/يوليو 1858، اكتشف بحيرة فيكتوريا، ومع أنه لم يتمكن من جمع أدلة كافية، فإن سبيك كان واثقًا بأن البحيرة هي المنبع الحقيقي لنهر النيل. رفع سبيك تقريرًا عن استنتاجاته إلى الجمعية الجغرافية في لندن، التي وافقت على تمويل بعثة استكشافية أخرى.


صيادو الأسماك في بحيرة فيكتوريا أو يوكيروي، التي تعدّ بالنسبة إلى الشعوب التي تعيش على ضفافها، مصدرًا حيويًا للغذاء.

ماذا بعد؟

كان السكان المحليون يطلقون على البحيرة اسم يوكيروي، لكن سبيك أسماها البحيرة فيكتوريا تكريمًا لملكة بريطانيا.

إنجاز المهمة

عام 1858، كان جون سبيك واثقًا بأنه عثر على منبع نهر النيل في بحيرة فيكتوريا. لكن المعنيين في لندن طالبوه بأدلة تثبت ذلك، فاضطر بالتالي للعودة إلى أفريقيا لجمعها.

المنبع الحقيقي لنهر النيل

عام 1860، انطلق سبيك في رحلته الجديدة برفقة جايمس غرانت، وسافرا معًا حول الطرف الغربي لبحيرة فيكتوريا. لكن غرانت أصيب بالتهاب في ساقه أرغمه على التوقف، وبالتالي لم يكن برفقة سبيك في تموز/يوليو 1862، عندما عثر سبيك على شلال عند الطرف الشمالي للبحيرة. شلال يصب في مجرى نهر.. إنه المنبع الحقيقي لنهر النيل.



جايمس غرانت

التقى جايمس غرانت (1827-1892) جون سبيك في أثناء خدمته في الجيش البريطاني بالهند. بعد وفاة سبيك، دافع غرانت عن إنجازات صديقه إلى أن أثبت هنري ستانلي صحة ما رواه سبيك عام 1875 . (راجع ص 110-111)



غرانت وسبيك يتفاوضان مع الملكة الأرملة في أوغاندا لتأمين ممر آمن.

الإطار الزمني:

- نيسان/أبريل 1860: انطلاق سبيك وغرانت في رحلة إلى شرق أفريقيا.
- 1861: وصولهما إلى كاوي وتوجههما شمالًا حول الطرف الغربي لبحيرة فيكتوريا حيث أصيب غرانت بالمرض.
- 28 تموز/يوليو 1862: اكتشاف سبيك شلالات ريبون واطلاقه عليها هذا الاسم.
- شباط/فبراير 1863: وصولهما إلى غندكرو في السودان حيث التقيا ساموبل وفلورنس بايكر.
- آذار/مارس 1864: اكتشاف الزوجين بايكر شلالات مورشيسون وبحيرة اليبرت.
- 15 أيلول/ سبتمبر 1864: إطلاق سبيك النار على نفسه عن طريق الخطأ.

النيل الأبيض

ينبع المجرى الأكثر بعدًا للنيل الأبيض (الرافد الرئيسي للنيل الأزرق) من غابة نيونغوي في جنوب رواندا. وبعد تدفقه من بحيرة فيكتوريا، يتابع مساره شمالًا إلى أن يلتقي النيل الأزرق في الخرطوم. ولقد سمّي هذا النهر بالنيل الأبيض بسبب الجزيئات الطينية الضاربة إلى البياض والمعلقة في مياهه.



أفراس النهر هي نوع من أنواع الحيوانات الكثيرة التي تعيش في النيل الأبيض وعلى ضفافه

حادث مأساوي

لدى عودتهما إلى لندن، استقبل غرانت وسبيك استقبال الأبطال، مع أن هناك من لم يكن مقتنعًا تمام الاقتناع باكتشافهما منبع نهر النيل. وكان ريتشارد بورتون الناقد الأبرز للوقائع التي رواها سبيك وغرانت مصرًّا على أن الأدلة التي قدماها لا تثبت أن النهر ينبع من بحيرة فيكتوريا. وبعد موافقتهما على مناقشة المسألة أمام العلن، أطلق سبيك النار على نفسه بصورة غير متعمدة في اليوم الذي سبق جلسة النقاش.

سد الثغرات

طلبت الجمعية الجغرافية الملكية من ساموبل وفلورانس بايكر الذهاب في رحلة للبحث عن سبيك وغرانت اللذين انقطعت أخبارهما منذ سنة. وبعد أن نجحا في العثور عليهما، قام الزوجان بايكر باستكشاف أجزاء من النيل لم يصل سبيك إليها. فتبين لهما أن النهر يتدفق من بحيرة فيكتوريا باتجاه شلالات مرشيسون قبل أن يتجه شمالًا إلى السودان.



شلالات مرشيسون حيث تجري المياه عبر فجوة في الصخور يبلغ اتساعها 7 أمتار

ليفنغستون في أفريقيا

اشتهر دايفيد ليفنغستون، الذي كان أول وأهم طبيب ومبشر، بكونه مستكشفًا مميزًا. وساهمت الكتب التي وضعها عن رحلاته الأربع الكبرى، في لفت انتباه الأوروبيين إلى قارة أفريقيا. كما ساهم نضاله ضد تجارة العبيد التي كان يهيمن عليها العرب في وضع حد لهذه الممارسات الوحشية.

مذهل!

عام 1844، كاد ليفنغستون يلقى حتفه بين أنياب أسد «هزني كما يهز الكلب الفأر». وبنتيجة ذلك، عانى ليفنغستون من كسور في العظام كما أن آثار أنياب الأسد الـ 11 ظلت ظاهرة على ذراعه اليسرى.

الرحلة الأولى

وصل ليفنغستون إلى كاب تاون عام 1841. وانتقل بعدها إلى المناطق الداخلية للعمل كمبشر بالديانة المسيحية في كورومان عند أطراف صحراء كالاهاري. وبعد مرور ثلاث سنوات، توغل في المناطق الشمالية حيث أنشأ إرساليته الخاصة، واستغل الفرص كافة المتاحة أمامه لاستكشاف المنطقة؛ فكان أول رجل أوروبي يشاهد بحيرة نغامي في شمالي بوتسوانا، ونهر زامبازي (عام 1851) الذي لم يكن أحد قد سمع به من قبل. ومع بلوغ تلك المرحلة، اصطحب ليفنغستون زوجته وأولاده الأربعة إلى كاب تاون لإرسالهم إلى إنكلترا.

الإطار الزمني:

- 14 آذار/مارس 1841: وصول ليفنغستون إلى كاب تاون.
- 1841 - 1844: استكشافه صحراء كالاهاري.
- حزيران/يونيو 1849: استكشافه بحيرة نغامي.
- نيسان/أبريل 1851: استكشافه زامبيزي.
- تشرين الثاني/ نوفمبر 1853: انطلاقه من زامبيزي وتوجهه نحو الغرب.
- 31 أيار/مايو 1854 : وصوله إلى لواندا في أنغولا وتوجهه بعدها نحو الشرق.
- 20 أيار/مايو 1856 : وصوله إلى كيليمان على المحيط الهندي.
- آب/أغسطس 1859: اكتشافه بحيرة نياسا في بعثته الاستكشافية الثالثة.



دايفيد ليفنغستون

ولد دايفيد ليفنغستون (1813 - 1873) في كنف عائلة فقيرة في بلانتاير باسكتلندا. ومع بلوغه العاشرة من عمره، اضطر للعمل في مصنع للقطن بدوام 14 ساعة في اليوم. وتابع بعدها العمل في المصنع بدوام جزئي ليتسنى له متابع دراسته في الطب في غلاسكو لأنه كان يتطلع إلى أن يصبح مبشرًا وعالمًا بالطب.



عبر المحيط

مع عودته إلى زامبيزي عام 1853، انطلق ليفنغستون في رحلة البحث عن طريق المحيط الأطلسي، آملًا في أن يمكنه من خلال ذلك فتح أبواب القارة أمام التأثير والتطور الأوروبي ووضع حد لتجارة العبيد.

وبعد بلوغه الساحل، عكس وجهته وتابع تقدمه بالزورق في نهر زامبيزي وصولًا إلى كيليمان على المحيط الهندي. وفي رحلته الثالثة لاستكشاف زامبيزي، اكتشف بحيرة نياسا.

أفترض أنك الدكتور ليفنغستون؟

عام 1865، نظم دايفيد ليفنغستون رحلته الرابعة والأخيرة ساعيًا إلى البحث عن منبع الأنهر الأفريقية الثلاثة الكبرى: الكونغو، زامبيزي والنيل. فمع أن جون سبيك تمكن من اكتشاف منبع نهر النيل، فإن بعضهم شكّك في إنجازاته. ما حث ليفنغستون على الذهاب للتأكد من الأمر بنفسه.



لوحة من القرن التاسع عشر ترتكز على وصف ليفنغستون للحظة التقائه ستانلي للمرة الأولى.

البحث العقيم

بدأ ليفنغستون رحلته من نهر روفوما الذي يفصل ما بين تانزانيا والموزامبيق، قبل أن يتابع طريقه شمالاً في رحلة شاقة وطويلة إلى بحيرة تنجانيقا. فانكب خلال السنوات الثلاث التالية على استكشاف تلك البحيرة والبحيرات الأخرى في المنطقة محاولاً تحديد المنبع الحقيقي لنهر النيل. فتبيّن له أن تلك البحيرات كلها لا تمت بأي صلة إلى نهر النيل نظرًا إلى أن معظمها يصب في نهر الكونغو.



غالبًا ما كان رفاق ليفنغستون ينقلونه في حمالة مع اشتداد المرض عليه.

الرحلة النهائية

مع اقتراب رحلة حياته من خواتمها، كانت الحمى قد أنهكت ليفنغستون وجعلته مضطرب الذهن. وللمرة الأولى في حياته، ضل طريقه بعد تضرر مقياس الوقت الخاص به وتعطل جهاز تحديد الاتجاه. غير أنه لم يفقد ذرة من حماسته للسفر سعيًا وراء وضع حد لتجارة العبيد.

نهاية ليفنغستون



النيل الأحمر، وهو نوع من الظباء التي تعيش قرب بحيرة بانغوليو حيث توفي ليفنغستون.

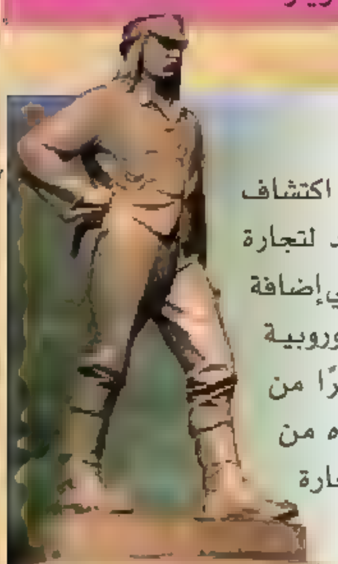
لدى وفاة ليفنغستون، حمل رفيقاه شوما وسوسي جثمانه وقطعا ما يقارب الـ 1000 كلم وصولاً إلى الشاطئ بغية نقله إلى بريطانيا. وبناء على طلبه تم دفن قلبه تحت شجرة في قرية مجاورة لبحيرة بانغويلو.

اللقاء الشهير



بعد انقطاع الاتصال بليفنغستون منذ عام 1868، استخدمت صحيفة أميركية هنري ستانلي عام 1871 للبحث عنه. التقى الرجلان في 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 1871 في أودجيجي. وروى ستانلي في وقت لاحق أنه شعر بفرح غامر، فرفع قبعته وتفوّه بكلماته الشهيرة قائلًا «أفترض أنك الدكتور ليفنغستون؟».

إرث ليفنغستون



تمثال لليفنغستون قرب شلالات فيكتوريا.

على الرغم من أن ليفنغستون لم يتمكن من اكتشاف منبع أي من الأنهر الرئيسية، أو وضع حد لتجارة العبيد أو إنشاء إرساليات دائمة، فإنه نجح في إضافة كم هائل من المعلومات إلى المعرفة الأوروبية بقارة أفريقيا. كما أنه اكتشف عددًا كبيرًا من البحيرات ورسم خارطة زامبيزي وغيره من الأنهر. وبعد وفاته بوقت قصير، بدأت تجارة العبيد بالتراجع بشكل سريع.

ماذا بعد؟

بعد مرور شهر على وفاة ليفنغستون، أقفل البريطانيون سوق العبيد في زانزيبار، السوق الأكثر نشاطا في أفريقيا

الإطار الزمني:

- 22 آذار/مارس 1865: وصول ليفنغستون إلى ساحل شرق أفريقيا.
- 8 آب/أغسطس 1866: وصوله إلى بحيرة نياسا.
- 1 نيسان/أبريل 1867: وصوله إلى بحيرة تنجانيقا.
- تشرين الثاني/ نوفمبر 1867: وصوله إلى بحيرة مويرو.
- 18 تموز/يوليو 1868: مشاهدته بحيرة بانغويلو للمرة الأولى.
- 29 آذار/مارس 1871: وصوله إلى نيانغوي، أو النقطة الأكثر بعدًا في رحلاته باتجاه الشمال.
- 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 1871: لقاؤه ستانلي في أودجيجي.
- 1 أيار/مايو 1873: وفاة ليفنغستون قرب بحيرة بانغويلو.

لقاء ستانلي

مع حلول عام 1871، كان الدكتور ليفنغستون قد أمضى أكثر من 30 سنة في أفريقيا وقطع آلاف الكيلومترات. كان قد تقدم في السن واشتد عليه المرض ولم يعد قادرًا على تحمّل المسافات الطويلة عند الانتقال من مكان إلى اخر. وغالبًا ما كان خدامه يحملونه على حمالة، لكنه كان مصممًا على المضي قدمًا. في هذا المقطع المستخرج من دفتر يومياته، يصف ليفنغستون المشاعر التي غمرته لدى رؤيته ستانلي للمرة الأولى.

العودة إلى أودجيجي

23 أيلول/سبتمبر: عبرنا نهر لونغومبا مرتين ووصلنا قرب الكتلة الجبلية الكبيرة غربي بحيرة تنجانيقا. كان علينا أن نسير لمدة عشرة أيام عبر الغابات المفتوحة لنصل إلى بحيرة تنجانيقا. كنت مرهقًا للغاية في طريق العودة إلى أودجيجي، بحيث شعرت كأنني ألفظ أنفاسي الأخيرة وأنا واقف على رجلي. كنت أشعر بالألم مع كل خطوة أقوم بها، كما فقدت شهيتي للطعام.. فانقباض ذهني ترك تأثيرًا كبيرًا على جسدي..

السامري الصالح

تشرين الثاني/ نوفمبر. في كل مرة كنت أشعر فيها بالاكتئاب الشديد، كنت أجد السامري الصالح إلى جانبي يخفف عني. ففي صباح أحد الأيام، جاء سوسي إلي مسرعًا وقال لي لاهثًا «رجل إنكليزي.. رأيته بأم عيني».. وانطلق كالسهم للقائه. لمّا رأيت العلم الأميركي يرفرف على رأس إحدى القوافل، عرفت هوية الرجل الغريب. فالأحواض القصديرية، والغلايات الضخمة، وأواني الطهو والخيم جعلتني أقول في نفسي «لا شك في أنه مسافر يحب الترف وليس فردًا من الوحدة». إنه هنري مورلند مورتن ستانلي، المراسل الذي يعمل في صحيفة هارلد. أرسله جايمس غوردون برنيت، بعد أن خصص 4000 باوند للرحلة، من أجل جمع معلومات دقيقة عني، وإعادة رفاتي إلى بلادي في حال وفاتي. ولا شك في أن الأخبار التي حملها معه إلى رجل أمضى أكثر من سنتين من دون أن يصله أي خبرٍ من أوروبا، أثارت الحماسة في نفسي. فاستعدت شهيتي للطعام، وبدلًا من الاكتفاء بوجبتين لا طعم لهما في اليوم، بدأت أستمتع بتناول أربع وجبات في اليوم. ما ساعدني على استرجاع قوّتي الجسدية في غضون أسبوع واحد. لكن هذه البادرة الكريمة من السيد بيرنيت والتي ساهم السيد ستانلي في تنفيذها، جعلتني أشعر بفرح غامر. وعلى الرغم من امتناني الفائق، فإنني شعرت بالخجل من نفسي لأنني لا أستحق هذا الكرم كله.

استكشاف الكونغو

كان هنري ستانلي رجلًا مختلفًا كل الاختلاف عن ليفنغستون. فهو مغامر يبحث عن الشهرة والثروة، ولا يعير الاستكشافات أي اهتمام على الإطلاق. وفي حين أن ليفنغستون كان يفضل السفر وحيدًا في معظم الأحيان، فإن ستانلي تولّى قيادة مجموعات مسلحة كبيرة.



هنري ستانلي

ولد هنري مورتن ستانلي (1841 – 1904) في شمالي الويلز حيث كان يحمل اسم جون رولاندز. انتقل إلى نيو أورلينز في سن المراهقة، وشغل في نهاية المطاف وظيفة مراسل صحفي في صحيفة نيويورك هارلد التي أرسلته في مهمة للبحث عن ليفنغستون.



عبور أفريقيا

انطلق ستانلي عام 1874 في رحلة استكشافية لنهر الكونغو. فغادر زانزيبار متجهًا نحو بحيرة فيكتوريا، التي أبحر حولها في زورق قابل للطي أطلق عليه اسم الليدي أليس. وخلال إبحاره في نهر الكونغو، تعرض للاعتداء من قبل السكان المحليين العدائيين فأضرم النار في قراهم انتقامًا منهم. عام 1877، وصل إلى الخط الساحلي للمحيط الأطلسي وأرسل قصص رحلاته إلى الصحف الأوروبية.

الإطار الزمني:

- 14 آذار/مارس 1872: انفصال ستانلي عن ليفنغستون.
- 1874 انطلاقه من زانزيبار.
- كانون الثاني/يناير 1875: وصوله إلى بحيرة فيكتوريا.
- تشرين الأول/ أكتوبر 1876: وصوله إلى بحيرة لوالابا وإبحاره في اتجاه مجرى النهر.
- آب/أغسطس 1877: وصوله إلى ساحل الأطلسي.
- 1879 1884: استعمار الكونغو.
- 1888: عثوره على الباشا الأمين في بحيرة ألبيرت.

استعمار الكونغو

استعمر ستانلي الكونغو بناء على طلب ملك بلجيكا ليوبولد الثاني. وتفاوض مع الزعماء المحليين بشأن بنود المعاهدات، واستكشف الأراضي الواقعة عند طرفي النهر. واستحق لقب «بولا ماتاري» أو كسارة الصخور، بسبب معاملته القاسية للأشخاص الذين كانوا يعملون معه.



زعيم قبيلة المولونغا التي وقعت معاهدة مع ستانلي، وندمت على ذلك في وقت لاحق بسبب حكم ليوبولد الوحشي.

ستانلي الاستعماري

كان الملك ليوبولد الثاني شديد الإصرار على إنشاء مستعمرة أفريقية، فدفع مبلغًا من المال لستانلي بغية استعمار الكونغو. فتمكن ستانلي من تحقيق أمنية الملك في غضون خمس سنوات، بدءًا من عام 1879، مساهمًا في إنشاء دولة الكونغو الحرة. وخلال مهمته الأخيرة، أنقذ ستانلي الباشا أمين، حاكم جنوب السودان، الذي كان محاصرًا من قبل الثوار.

ماذا بعد؟

حكم ليوبولد الثاني دولة الكونغو الحرة. لكن الحكومة البلجيكية أرغمته على التخلي عنها عام 1908 بسبب معاملته السيئة لسكانها. تمكنت الدولة من نيل استقلالها عام 1960.

نهر الكونغو

ينبع نهر الكونغو من نهر ليوالابا في المناطق الجبلية في جنوبي الكونغو ويجري على مسافة 4700 كلم ضمن حلقة دائرية كبيرة إلى أن يصل إلى المحيط الأطلسي. تتميز منطقة المصب بكثرة الشلالات التي تجعل عملية الوصول إليه عن طريق البحر عملية صعبة.

سمكة النمر العملاقة، وهي أحد أنواع الأسماك الكثيرة والخطيرة التي تعيش في نهر الكونغو.



امرأة واحدة

كان معظم المستكشفين في أفريقيا من الرجال فحسب. غير أن ماري كينغسلي حطمت الأعراف كافة السائدة في زمانها لتصبح من أهم المستكشفين في غرب أفريقيا.

البداية المتأخرة

على الرغم من أن والدها كان طبيبًا كثير الترحال، فإنها نادرًا ما كانت كينغسلي تغادر المنزل قبل رحلتها الاستكشافية الأولى إلى أفريقيا. وفي ظل تخلفها عن متابعة تحصيلها العلمي الرسمي، سألت المسؤولين في المتحف البريطاني عن مواد التاريخ الطبيعي التي يُفترض بها التعمق بدراستها. فاقترحوا عليها جمع عينات عن الأسماك والخنافس. تعلمت الملاحة وغيرها من المهارات بسرعة فائقة ووقعت في حب الشعوب الأفريقية.

الإطار الزمني:

- آب/أغسطس 1893: إبحار كينغسلي من إنكلترا على متن سفينة الشحن «لاغوس» ووصولها إلى أنغولا في الجنوب.
- كانون الثاني/يناير 1894: عودتها إلى المملكة المتحدة حيث وافق المتحف البريطاني على تمويل بعثتها الاستكشافية التالية.
- تشرين الثاني/ نوفمبر 1894: استكشاف نهر أوغويه في الغابون قبل قيامها برحلة طويلة وشاقة باتجاه نهر رامبوي.
- أيلول/ سبتمبر 1895: تسلقها جبل الكاميرون.
- تشرين الثاني/ نوفمبر 1895: عودتها إلى لندن وتدوينها وقائع رحلاتها.



كينغسلي مسافرة على متن زورق وهي مرتدية ملابسها الفيكتورية الطراز وحاملة مظلتها التي استعملتها لإخافة أفراس النهر الكثيري الجلبة.

ماري كينغسلي

أمضت ماري كينغسلي (1862 – 1900) معظم أيام حياتها ترعى والدتها المريضة في المنزل. ولم تتمكن من تحقيق رغبتها في السفر إلا بعد وفاة والديها. وبعد قيامها برحلتين استكشافيتين، عادت إلى أفريقيا للمساعدة على تقديم الرعاية التمريضية للجنود البريطانيين الذين شاركوا في حرب البوير وقضت بعد إصابتها بالحمى.

كسب الاحترام

إثر رحلتها الاستكشافية الأولى إلى ساحل غرب أفريقيا، أثبتت كينغسلي جدارتها في أن تكون مستكشفة، ووافق المتحف البريطاني على دعم رحلتها الاستكشافية الثانية عام 1894. فكانت أول شخص يصل إلى الغابون وأول امرأة تتسلق جبل الكاميرون. وغالبًا ما كانت كينغسلي تسافر وحيدة حيث كانت تمارس التبادلات التجارية مع القبائل المحلية. ولم تكن تشرب إلا المياه المغلية التي كانت تقيها من كثير من الأمراض.

سفوح جبل الكاميرون الذي تسلقته ماري كينغسلي.

تعمقت كينغسلي في دراسة الأنظمة العقائدية لدى الشامان أو السحرة الدينيين.



المسافرة المثقفة

لم تكن ماري كينغسلي تشاطر الكثيرين من زملائها المستكشفين الأوروبيين آراءهم العنصرية. لذا، كانت قادرة على فهم الثقافات الأفريقية التي تعمقت في دراستها، بشكل أفضل. كما أنها كانت شديدة الإصرار على أن الأفريقيين يضاهون الأوروبيين من حيث ثقافتهم وتقدمهم.

لغز محير!

عندما تسلقت كينغسلي جبل الكاميرون، تخلى المرشد عنها في منتصف الطريق، وكان عليها أن تتابع رحلة الصعود الأخيرة بمفردها.

مغامرات الحياة البرية

أظهرت كينغسلي شجاعة فائقة أمام المخاطر التي واجهتها، سواء من الناس الذين التقتهم أو من الحيوانات المؤذية التي تعيش في القارة. فقد ضربت نمرًا حاول أن يعتدي عليها بإناء الماء على رأسه وأنقذت نمرًا آخر من شرك وقع فيه. ولقد وجدت نفسها في مواجهة عنيفة مع التماسيح في أكثر من مناسبة.

لم تسمح كينغسلي للحياة البرية في قارة أفريقيا، بما في ذلك النمور، أن تثنيها عن مسعاها.





الاستكشافات القصوى

مع بداية القرن العشرين، كانت معظم الأراضي في العالم قد اكتُشفت ورُسمت خارطتها، باستثناء المناطق القطبية التي بقيت منيعة لا تقهر. ولقد وجد المستكشفون أنفسهم أيضًا أمام تحديات جديدة، تحديات تمثلت في الغوص في المحيطات والوصول إلى أعماقها، وتسلق الجبال الأكثر ارتفاعًا. وقد تمكنا، في زمن السفر إلى الفضاء، من استكشاف القمر، والنظام الشمسي والنجوم الواقعة خلف نطاقه، بفضل تطوير المركبات الآلية.



السباق إلى القطب الشمالي

مع حلول منتصف القرن التاسع عشر، بات الخط الساحلي للمحيط المتجمد الشمالي معروفًا من قبل المستكشفين، مع أن أحدًا منهم لم يكن قد تمكن بعد من بلوغ قمة العالم، في القطب الشمالي. وهو ما ساهم في انطلاق السباق للوصول إلى تلك البقعة من العالم بشكل جدي.

التوغل باتجاه أقصى الشمال

يعد الأميركي شارلز هال (1821-1871) أول الأشخاص الذين استكشفوا القطب الشمالي بحيث تمكن خلال البعثات الاستكشافية الثلاث التي قام بها من الإبحار باتجاه الشمال ليصل إلى أماكن لم يصل إليها أحد من قبل. فكان هال أول شخص تطأ قدماه الشاطئ الشمالي لغرينلاند. ومع أنه استخدم تقنيات السكان المحليين المعروفين بالإنويت أو الإسكيمو ليتمكن من البقاء، فإنه أصيب بالمرض وتوفي على متن سفينته بولاريس.

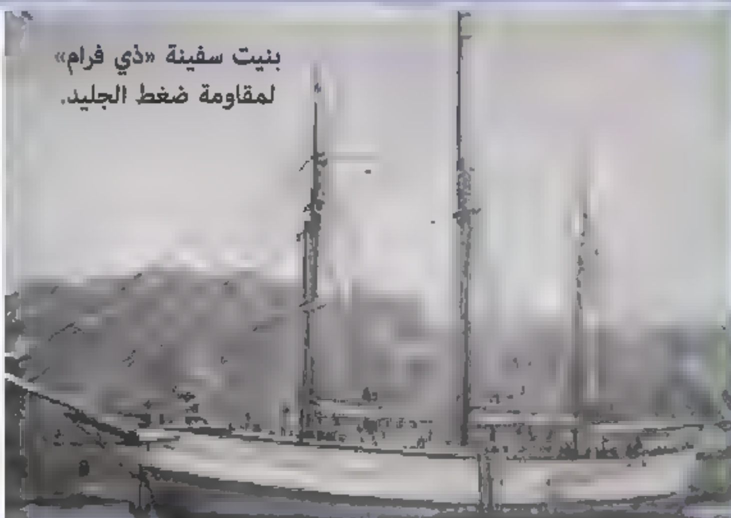


فريتيوف نانسين

حرص النرويجي نانسين (1861 - 1930) الذي كان مستشكفًا قطبيًّا ذا مهارات عالية، على تنظيم بعثاته بدقة متناهية. ثم دخل السلك الدبلوماسي في مرحلة لاحقة من حياته وحاز جائزة نوبل للسلام عام 1922.

السفينة المدعمة

عام 1884، تم العثور على تجهيزات سفينة غرقت قبالة سيبيريا عند الطرف الآخر من المحيط المتجمد الشمالي في غرينلاند بعد أن قذفتها التيارات المحيطية إلى تلك البقعة. ما أوحى لنانسين بفكرة السفر إلى القطب الشمالي مستخدمًا تقنية العوم. فبُنيت سفينة «ذي فرام» خصيصًا لهذه الغاية، واستُخدمت في بنائها الألواح الخشبية السميكة المدعمة بالمعادن.



بنيت سفينة «ذي فرام» لمقاومة ضغط الجليد.

الرحلة المأساوية

حاول المهندس السويدي سالمون أدريه (1854-1897) السفر جوًّا إلى القطب الشمالي مستخدمًا منطاد الهواء الساخن. فانطلق في تموز/يوليو 1897 من سبيتسبرغن، على متن منطاده «أورنين» (الصقر) لكنه اختفى بعد يومين. ثم تم العثور على حطام المنطاد، وجثث أندريه ورفيقيه على الجليد.


أندريه ومساعداه أمام المنطاد في سبيتسبرغن.

العوم على الجليد

عام 1893، انطلق فريتيوف نانسين في بعثته الاستكشافية المميزة، مبحرًا بسفينته المسماة «ذي فرام» في السرب الجليدي، آملًا أن تقذف تيارات المحيط المتجمد الشمالي سفينته المغمورة بالجليد إلى القطب الشمالي. بقيت السفينة عالقة في الجليد لمدة سنتين قبل أن يدرك نانسين أنها قد لا تتمكن من الوصول إلى القطب، لذا قرر هو ورفيقه، متابعة الرحلة سيرًا على الأقدام، لكن محاولتهما باءت بالفشل.

يشكل الجليد كتلًا صلبة في معظم أجزاء المحيط المتجمد الشمالي.

الإطار الزمني:

- أب/أغسطس 1871 هال يبحر على طول الساحل الغربي لغرينلاند ويجتاز 320 كلم من السرب الجليدي، متجهًا نحو القطب الشمالي، مستخدمًا المزلجة.
- 26 حزيران/يونيو 1893 نانسين يبحر على متن «ذي فرام».
- 20 أيلول/ سبتمبر1893 ذي فرام عالقة في الجليد وتيارات المحيط تدفعها في الاتجاه الشمالي الشرقي.
- 14 آذار/مارس 1895 نانسين وفريدريك جوهانسن يتابعان طريقهما متوغلين في الاتجاه الشمالي، مستخدمين المزالج التي تجرها الكلاب ويصلان إلى نقطة لم يصل إليها أحد من قبل، لكنهما اضطرا للعودة.
- تموز/يوليو 1897 أندريه يحاول السفر إلى القطب الشمالي في منطاد الهواء الساخن.

مذهل!

خلال تواجده على متن سفينة ذي فرام، أدرك نانسين أن المحيط المتجمد الشمالي أكثر عمقًا ودفئًا مما كان يتوقع. كما أنه أثبت عدم وجود يابسة تحت القطب الشمالي.

الوصول إلى القطب

استمر السباق إلى القطب الشمالي لغاية السنوات الأولى من القرن العشرين، إلى أن تمكن المستكشف الأميركي روبرت بيري من الفوز فيه عام 1909. غير أن الجدل حول إنجازاته استمر بالتفاعل بحيث إن بعض المؤرخين شكّوا في مسألة وصوله إلى القطب الشمالي.

الاستعداد للسفر إلى القطب

بعد سلسلة من البعثات الاستكشافية بدأت عام 1886، نجح روبرت بيري في التوغل إلى أقصى الشمال. وكان في كل مرة يكتسب معلومات جديدة عن سبل البقاء في منطقة القطب الشمالي. ومع حلول عام 1909، كان روبرت مستعدًّا للقيام بالمحاولة الأخيرة. إذ اختار الملابس، والمهاجع، والأطعمة والكلاب والزلاجات بعناية فائقة خصيصًا من أجل هذه الرحلة. غادر الفريق المؤلف من 24 رجلًا المعسكر الرئيسي على جزيرة اليسمير في آذار/مارس 1909، وأعدّ سلسلة من معسكرات التموين على طول ثلثي الطريق المؤدي إلى القطب.





روبرت بيري

كرس روبرت بيري (1836–1920) نفسه لاستكشاف منطقة القطب الشمالي على مدى ربع قرن من الزمن. تخرَّج في كلية الهندسة بصفة مهندس مدني والتحق بالقوات البحرية قبل أن يبدأ بالبحث عن منطقة القطب الشمالي. تمكن بيري من تمويل رحلاته من خلال كتابة المقالات عن مغامراته في الكتب والمجلات.

ماثيو هانسون



ولد ماثيو هانسون (1866 – 1955). مواطنًا أمريكيًا من أصول أفريقية، في كنف عائلة فقيرة. عمل في بادئ الأمر خادمًا لدى بيري ولكن سرعان ما عهد إليه مسؤولية تنظيم رحلاته الاستكشافية.

الوصول إلى المنطقة القطبية والعودة منها

تمكنت البعثة من شق طريقها عبر الجليد الصلب، متيحة الفرصة لبيري، وهانسون وأربعة من الإنويت المحليين من عبور الـ 250 كلم الأخيرة وصولاً إلى القطب. وبعد مرور خمسة أيام، أقاموا معسكرًا في السادس من نيسان/أبريل 1909 على بعد 5 كلم من القطب، وفي اليوم التالي عبروا القطب قبل العودة إلى رأس كولومبيا. ما يعني أنهم قطعوا 112 كلم في يوم واحد. ولم يخف بعضهم شكّه في أن يكون بيري قد تمكن من السفر بتلك السرعة التي تحدث عنها.

نُقل هذا الرسم عن صورة التقطها بيري للمواطنين الإنويت الأربعة الذين انضموا إلى الفريق الذي وصل إلى القطب الشمالي.



الإطار الزمني:

- نيسان/أبريل 1908: بيري وبعثته يلقون المرساة قرب رأس شيريدان في جزيرة اليسمير ويقيمون معسكرًا رئيسيًا نحو الشمال في رأس كولومبيا.
- 1 آذار/مارس 1909: مغادرة البعثة المعسكر الرئيسي.
- 2 نيسان/أبريل 1909: قيام بيري وهانسون و أربعة من الإنويت بالزحف الأخير في اتجاه القطب.
- 6 نيسان/أبريل 1909: إقامة معسكر على مقربة من القطب.
- 7 نيسان/أبريل 1909: إمضاء بيري 30 ساعة في المنطقة لإجراء الحسابات اللازمة وإثبات وصوله إلى القطب.
- 23 نيسان/أبريل 1909: عودة بيري وفريقه إلى المعسكر الرئيسي.

ماذا بعد؟

إذا صح ما قاله بعضهم أن بيري لم يصل إلى القطب، فذلك يعني أن أول شخص قد نجح في الوصول إلى تلك البقعة كان المستكشف البريطاني والي هيربرت عام 1969

الرحلة الاستكشافية الأولى للمحيط المتجمد الشمالي

أبحر القبطان كوك في مياه المحيط المتجمد الجنوبي عام 1773، لكن تلك القارة الشاسعة، الباردة، غير المضيافة ظلت مخفية المعالم لسبعين سنة أخرى. وتعذر على الجميع إيجاد اليابسة التي كانت متشابكة مع طبقة عملاقة من الجليد، طبقة مترامية الأطراف تصل إلى البحر.

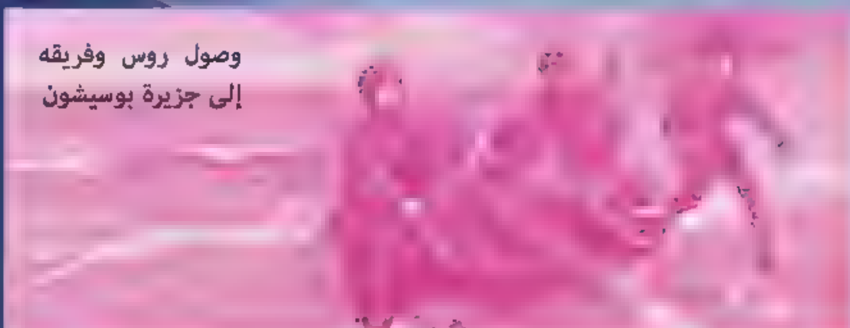


كارستن بورشغرفنك

كان النرويجي كارستن بورشغرفنك (1864 - 1934) أول شخص تطأ قدماه منطقة القطب الجنوبي. فبعد انضمامه إلى مجموعة تبحث عن مياه جديدة لصيد الحيتان، حط رحاله قرب رأس أدوريه على أرض فيكتوريا في 24 كانون الثاني/يناير 1895.

اختراق الجليد

كان السير جايمس روس (1800 1862) مستكشفًا قطبيًّا إنكليزي الجنسية وصاحب خبرة واسعة. عام 1841، نجح في قيادة سفينتيه، ذي تيرور و إيربوس، عبر السرب الجليدي المحيط بالقارة، ليشق بعدها طريقه عبر مياه البحر الذي يحمل حاليًّا اسمه. إلا أنه فشل في النزول إلى اليابسة في القارة نفسها.



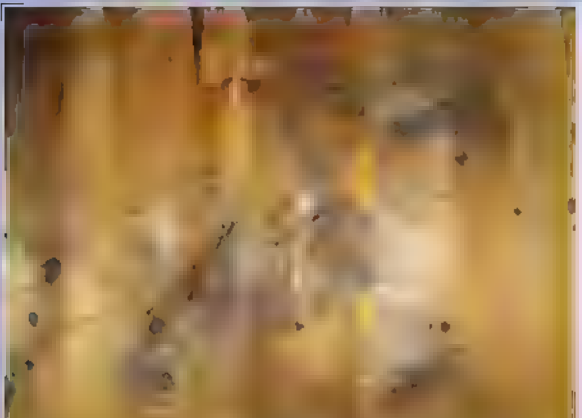
وصول روس وفريقه إلى جزيرة بوسيشون

الجليد والنار

في 12 كانون الثاني/يناير 1841، كان جايمس روس على مسافة قريبة جدًّا من منطقة القطب الجنوبي عندما حط رحاله على جزيرة جليدية، أطلق عليها اسم «جزيرة بوسيشون»، قبالة أرض فيكتوريا. وبعد مرور أسبوعين، شاهد بركانًا ناشطًا، فأسماه جبل إيربوس.

الشتاء في المنطقة القطبية الجنوبية

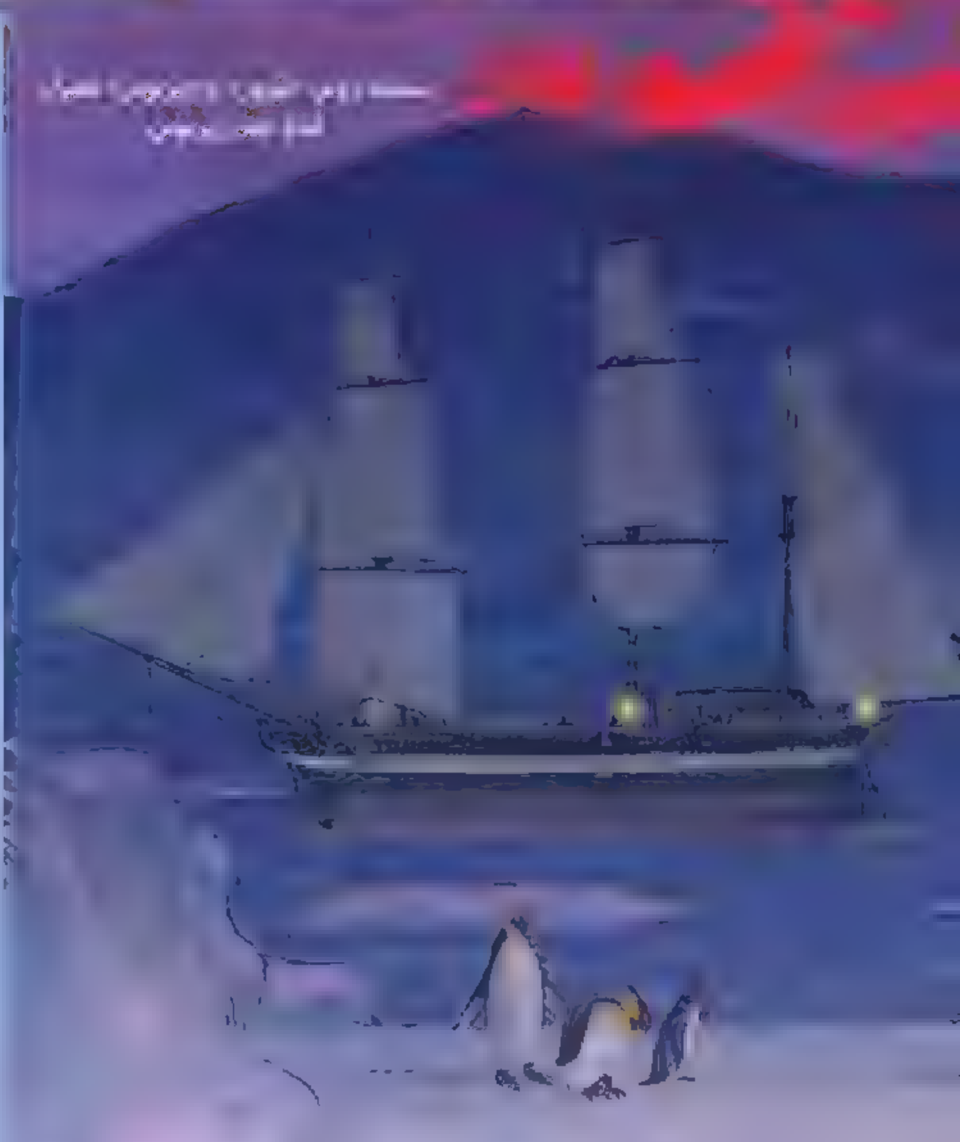
في شباط/فبراير 1899، وصل كارستن بورشغرفنك إلى جزيرة أدوريه على متن سفينة «سوثرن كروس» النرويجية المخصصة لصيد الحيتان. فنزل إلى اليابسة برفقة فريق علمي صغير يضم عالمًا بالأرصاد الجوية وعالمًا بالتاريخ الطبيعي. هذا إلى جانب مواطنين لابيين من شمالي النرويج، يتمتعان بخبرة واسعة في سبل البقاء في ظل الأوضاع المناخية الباردة. بنى الفريق كوخًا وأمضى فصل الشتاء بكامله في القارة من دون أن يصاب بأذى.



رسم يحمل توقيع الطاهي كولبين الفسين ويمثل الكوخ حيث أمضى الفريق فصل الشتاء.

الإطار الزمني:

- 1820: سفينتان منفصلتان تشاهدان المنطقة القطبية الجنوبية.
- 9 كانون الثاني/يناير 1841: سفينتا روس تخترقان السرب الجليدي وتصلان إلى أرض فيكتوريا.
- 28 كانون الثاني/يناير 1841: مشاهدة روس بركانًا ناشطًا على جزيرة روس.
- 24 كانون الثاني/يناير 1895: بورشغرفنك يحط رحاله في منطقة القطب الجنوبي.
- 1899: بورشغرفنك يمضي فصل الشتاء في المنطقة القطبية الجنوبية برفقة الفريق العلمي.



السباق إلى القطب

على الرغم من أن منطقة القطب الشمالي قد تم الوصول إليها عام 1909، فإن القطب الجنوبي ظلّ منيعًا، يصعب الاقتراب منه. فمناخه القاسي الذي لا يعرف الرحمة ساهم في إفشال عدد كبير من البعثات الاستكشافية. وفي عام 1910، انطلق فريقان مجهزان خير تجهيز في رحلة إلى القطب الجنوبي، رحلة ستكون أشبه بالسباق إلى الموت.

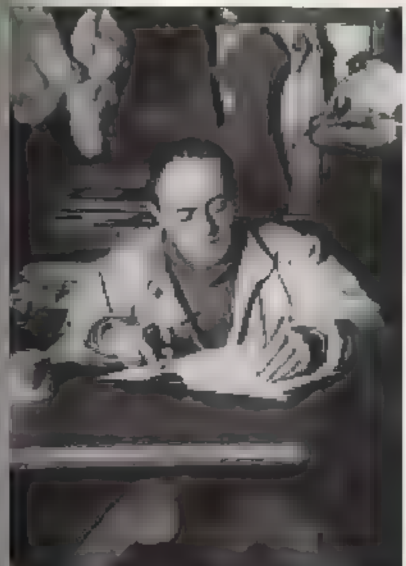


انطلاق السباق

قاد الفريق الأول روال أموندسن، البطل النرويجي الذي استكشف الممر الشمالي الغربي (راجع ص. 56-57). وبعد مغادرة خليج الحيتان الواقع إلى الطرف الشرقي من بحر روس، في 19 تشرين الأول/ أكتوبر 1911، اخترق الطبقة الجليدية وصولًا إلى الهضبة القطبية. وبعد مرور أسبوعين، انطلقت بعثة استكشافية بريطانية يترأسها روبرت سكوت من الطرف الغربي لبحر روس في مضيق ماكموردو وشقت طريقها وصولًا إلى الهضبة.

مذهل!

كان أموندسن ينوي في الأساس غزو القطب الشمالي مستخدمًا سفينة نانسن الفريدة «ذي فرام». ولكن عندما سمع أن بيري قد سبقه إلى القطب الشمالي، غير خططه وتوجه نحو القطب الجنوبي.



روبرت سكوت

لدى انطلاقه في الرحلة الاستكشافية للمنطقة القطبية الجنوبية عام 1911، كان الكابتن سكوت (1868-1912) مستكشفًا قطبيًّا محنكًا. فقد شارك في رحلة استكشافية رئيسية مع إرنست شاكلتون ما بين عامي 1901 و1904

النصر النرويجي

ساهمت استعدادات أموندسن المتقنة في تفوقه على سكوت بحيث وصل فريقه أولًا إلى القطب في 14 كانون الأول/ديسمبر 1911، ليعود إلى معسكره الرئيسي في 17 كانون الثاني/يناير 1912، أي في التاريخ الذي وصل فيه فريق سكوت إلى القطب. غير أن سكوت وأعضاء فريقه لم يتمكنوا من البقاء من شدة الإرهاق واليأس، فلاقوا حتفهم جميعًا وهم في طريق العودة، ويُروى أن الثلاثة الآخرين الذين ظلّوا على قيد الحياة توفوا على بعد 18 كلم من بر الأمان.

الإطار الزمني:

- 19 تشرين الأول/ أكتوبر 1911: إبحار فريق أموندسن من خليج الحيتان.
- 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1911: مغادرة فريق سكوت قاعدتهم في مضيق ماكموردو.
- 14 كانون الأول/ديسمبر 1911: وصول أموندسن وفريقه إلى القطب الجنوبي.
- 11 كانون الثاني/يناير 1912: عودة أموندسن إلى قاعدته.
- 17 كانون الثاني/يناير 1912: وصول سكوت إلى القطب.
- 17 آذار/مارس 1912: خروج الكابتن أوتس من المعسكر ليلفظ أنفاسه الأخيرة على الجليد.
- 29 آذار/مارس 1912: وفاة سكوت ورفيقيه.

حمل ثقيل

لم تكن بعثة روبرت سكوت الاستكشافية منظمة بقدر بعثة أموندسن، لقد اعتمدت بشكل أساسي على الأحصنة السيبيرية لنقل المؤن. غير أن الأحصنة توفيت نتيجة البرد الشديد، ووجد الفريق نفسه مرغمًا على جر المؤن على الزلاجات. في حين أن أموندسن طبق المهارات التي تعلمها من الأنويت في القطب الشمالي واستخدم كلاب الهاسكي لنقل المؤن واللوازم.



فريق سكوت يجر الزلاجات الثقيلة على الجليد.

عبور المحيط المتجمد الجنوبي

حاول أرنست شاكلتون الوصول إلى القطب الجنوبي عام 1908. فنجح بمساعدة فريقه في الوصول إلى القطب المغناطيسي الجنوبي (حيث تتركز قوة الجذب المغناطيسي على بعد 180 كلم من القطب الجنوبي الجغرافي) ليعود بعدها أدراجه. عام 1915، قرر شاكلتون العودة واضعًا نصب عينيه خطة أكثر طموحًا.



أرنست شاكلتون

قصد أرنست شاكلتون (1874 – 1922) منطقة القطب الجنوبي للمرة الأولى عام 1901. وبعد البعثتين الاستكشافيتين اللتين نظمهما عامي 1908 و1915، عاد عام 1921 لاستكشاف أندربي لاند، لكنه توفي في جنوب جورجيا قبل أن يتمكن من الوصول إليها.

من الساحل إلى الساحل

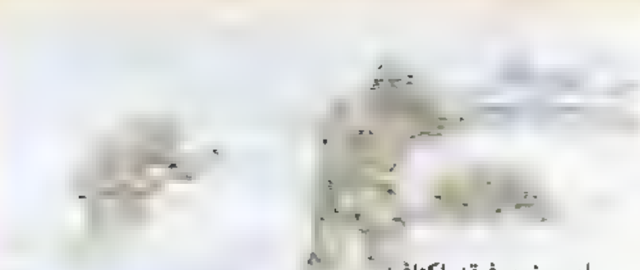
كانت خطة شاكلتون تقضي بعبور القارة من بحر ودل إلى بحر روس. غير أن خطته كادت تقضي في مهدها مع اندلاع الحرب العالمية الأولى في أوروبا بينما كان شاكلتون يستعد للإبحار من إنكلترا. وضع شاكلتون سفينتيه «إيندورانس» و «أورورا» في تصرف القوات البحرية، ولكن أوعز إليه بالمضي قدمًا في بعثته الاستكشافية.



غرق سفينة أيندورانس في الجليد في تشرين الأول/ أكتوبر 1915

كارثة ماوسون

عام 1911، ترأس دوغلاس ماوسون بعثة استكشافية أوسترالية لاستكشاف الخط الساحلي للمحيط المتجمد الجنوبي. غير أن أحد أفراد فريقه وقع في شق في الجليد ومعه المؤن الغذائية كافة. ولدى عودة ماوسون إلى المعسكر الرئيسي، علم أن سفينة المؤن قد رحلت. ولم يتمكن أحد من إنقاذه إلا مع انتهاء فصل الشتاء.



ماوسون ورفيقه إكزافيه ميرتز يشقان طريقهما بصعوبة وسط الثلج.

مذهل!

لم يفقد شاكلتون أيًا من رجاله في المنطقة القطبية الجنوبية، مع أنه من النادر تحقيق إنجاز مماثل في بعثة استكشافية قطبية.

الحصار

وصلت سفينة إيندورانس إلى بحر ودل في كانون الثاني/ يناير 1915 حيث حوصرت بالسرب الجليدي على الفور. ولم تكد تمضي 10 أشهر حتى غرقت. فأبحر شاكلتون وفريقه إلى جزيرة الفيل مستخدمين قوارب النجاة. وانطلق بعدها برفقة خمسة من أفراد الفريق للبحث عن المساعدة. فوصلوا إلى جنوب جورجيا وعادوا لإنقاذ باقي أعضاء الفريق.



إحدى الجرارات المخصصة لإزالة الثلج التي استعملها فوش لعبور المنطقة القطبية الجنوبية

النجاح!

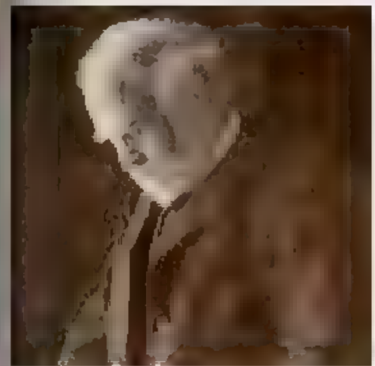
عام 1958، نجحت البعثة الاستكشافية التي ترأسها فيفيان فوش في اجتياز المنطقة القطبية الجنوبية من الساحل إلى الساحل، بحيث عبرت من بحر ودل إلى بحر روس. كان فوش قد استخدم الجرارات المخصصة لإزالة الثلج، وانتفع من كاسحات الجليد، وأجهزة الاتصال اللاسيلكي، والمدافئ، وقاعدة في القطب الجنوبي بحد ذاته، وهذا ما لم يكن متوافرًا على الإطلاق في زمن شاكلتون.

الإطار الزمني:

- كانون الأول/ديسمبر 1913: إنقاذ ماوسون بعد إمضائه فصلي الشتاء في منطقة القطب الجنوبي.
- كانون الثاني/يناير 1915: دخول سفينة «إيندورانس» بحر ودل حيث حوصرت بالجليد.
- 27 تشرين الأول/ أكتوبر 1915: غرق سفينة إيندورانس وإبحار الطاقم إلى جزيرة الفيل.
- 30 آب/أغسطس 1916: عودة شاكلتون لإنقاذ البعثة على جزيرة الفيل.
- 2 آذار/مارس 1958: نجاح فوش في عبور المنطقة القطبية الجنوبية.

رحلة المتحدي

تغطي المحيطات ما يقارب الـ 70 % من الكرة الأرضية، ولكن قبل أواسط القرن التاسع عشر لم يكن الكثيرون يعرفون عن الحياة تحت سطح المياه. وفي عام 1872، انطلقت بعثة استكشافية مميزة في رحلة استقصائية على متن سفينة مخصصة للأبحاث العلمية.



جون موراي

عمل الكندي جون موراي (1844 - 1914) كمساعد لتومسون على متن سفينة المتحدي. وأشرف على تحرير ونشر المجلدات الخمسين عن التقارير التي ظهرت لاحقًا.



علماء يمارسون مهماتهم في المختبر البيولوجي على متن سفينة المتحدي.

المختبر العائم

كان صاحب فكرة البعثة الاستكشافية شارلز وايفيل تومسون (1830-1892) مدرس الأحياء في جامعة إيدنبرغ. فأقنع القوات البحرية الملكية بإعارته السفينة الملكية «ذي تشالنجر» أو المتحدي، والتي هي عبارة عن سفينة حربية مزودة بمحركات تعمل على البخار. فاستبدلت المدافع وبعض السواري بالمختبرات والحجرات وأضيف منصة مخصصة للحفر بغية أخذ عينات من قاع البحر.

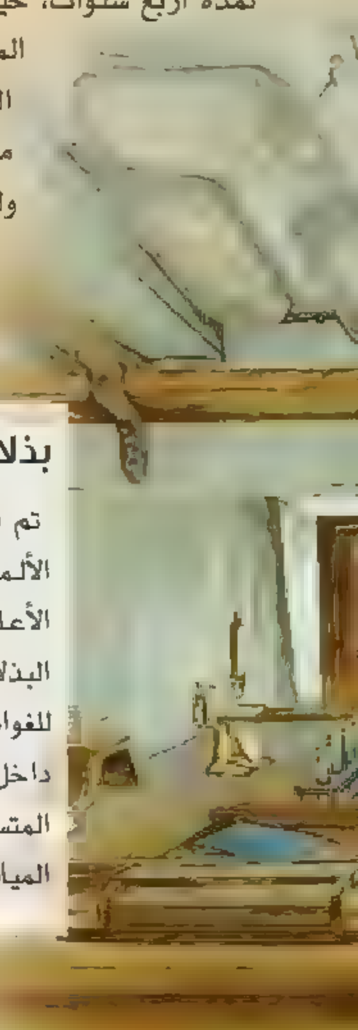
ناقوس الغوص



عام 1690، اخترع إدموند هالي ناقوسًا يسمح للغواصين بالعمل تحت الماء. كان الناقوس الخشبي مغلفًا من الخارج بطبقة من الرصاص تسهل عملية هبوطها في الماء، ومزودًا في الداخل بكمية كافية من الهواء الذي يتم ضخه من على سطح المياه بوساطة الأنابيب الجلدية. ويمكن لأربعة أشخاص البقاء فيه لمدة 90 دقيقة على عمق 18 متراً.

ثروة من المعارف

أبحرت سفينة «ذي تشالنجر» أو المتحدي عام 1872 وبقيت في البحر لمدة أربع سنوات، حيث تنقلت من محيط إلى آخر باستثناء المحيط المتجمد الشمالي. خلال مجرى هذه البعثة، قطعت السفينة 127،500 كلم في البحر واكتشفت أكثر من 4717 جنساً جديداً من الحياة البحرية. ولدى نشر التقارير التي وضعتها البعثة، وصفها المحرر جون موراي بأنها «أكبر تطور معرفي شهدته الكرة الأرضية منذ زمن الاستكشافات المشهورة في القرن الخامس عشر».



بذلات الغوص

تم اختراع أولى بذلات الغوص عام 1797 على يد الألماني سي. أتش. كلينغرت الذي أحاط الجزء الأعلى من الجسم بغلاف أسطواني. غير أن البذلات التي جرى تطويرها في وقت لاحق سمحت للغواص بالسباحة بسهولة أكبر. كان الهواء يضخ داخل خوذة معدنية ثقيلة، بحيث إن ضغط الهواء المتسرب من الخوذة يحول دون تسرب المياه إلى الداخل.

الإطار الزمني:

- 1690: اختراع إدموند هالي الناقوس الغواص.
- 1797: اختراع سي. أتش. كلينغرت بذلات الغوص الأولى التي تفتقر إلى المرونة.
- 1819: اختراع أوغست سيبيه بذلة أكثر مرونة مزوّدة بخوذة معدنية ثقيلة.
- 1855: نشر أول كتاب عن علم المحيطات.
- 21 كانون الأول/ديسمبر 1872: انطلاق السفينة الملكية «تشالنجر» من بورت سموث.
- 1876: انتهاء مهمة تشالنجر أو المتحدي.



إلى أعماق المحيطات

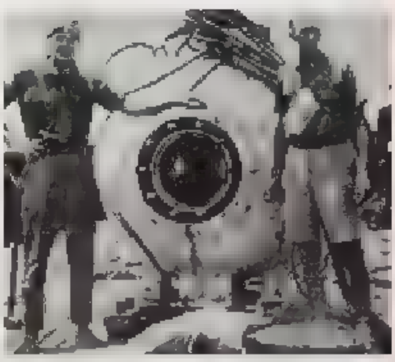
واجه الغواصون صعوبة في العمل في أعماق البحار بسبب قوة الضغط في رئتي الغواص، وبرودة المياه والظلمة الحالكة. بنتيجة ذلك، بقيت أعماق البحار مجهولة كليًا إلى أن ساهم اختراع جديد ظهر في الثلاثينيات من القرن العشرين في جعل الاستكشافات تحت الماء ممكنة.

الإطار الزمني:

- **6 حزيران/يونيو 1930: استخدام كرة الأعماق للمرة الأولى في المياه العميقة قبالة جزيرة نونساش في برمودا.**
- **1934: تسجيل بيبي وبارتون رقمًا قياسيًا عالميًا لجهة غوصهما على عمق 932 م قبالة برمودا. لم يتمكن أحد من تحطيم هذا الرقم القياسي إلا بعد 15 عامًا.**
- **1953: إطلاق غواصة الأعماق «تريستا» في إيطاليا.**
- **23 كانون الثاني/يناير 1960: وصول غواصة الأعماق تريستا إلى قعر المحيط في تشالنجر ديب أعمق نقطة في خندق ماريانا، وعلى متنها جاك، ابن أوغست بيكارد، ودون والش من البحرية الأميركية.**

كرة الأعماق/ الغواصة

عام 1930، طور العالم الأميركي ويليام بيبي بالتعاون مع الغواص الأميركي أوتيس بارتون، كرة الأعماق أو الغواصة. كانت كرة الأعماق تتألف من جسم كروي معدني يتم إنزاله في الماء بوساطة سلك فولاذي موصول بسفينة راسية على سطح الماء. عند إقفال باب الغواص على الغواصين الذين في داخلها، يمكنهم أن يتنفسوا الأوكسجين من أسطوانة الضغط العالي. ولقد أنزلت كرة الأعماق إلى المياه للمرة الأولى عام 1930 قبالة برمودا.



ويليام بيبي (إلى اليمين) وأوتيس بارتون بجوار كرة الأعماق.

ويليام بيبي

كان ويليام بيبي (1877 - 1962) قيمًا على متحف الطيور في جمعية المحافظة على الحياة البرية في نيويورك، لكن اهتماماته لم تكن مقتصرة على الطيور فحسب. وهو ما دفعه إلى تنظيم 35 رحلة غوص مستخدمًا كرة الأعماق لمراقبة الحياة البحرية في المحيط الأطلسي.

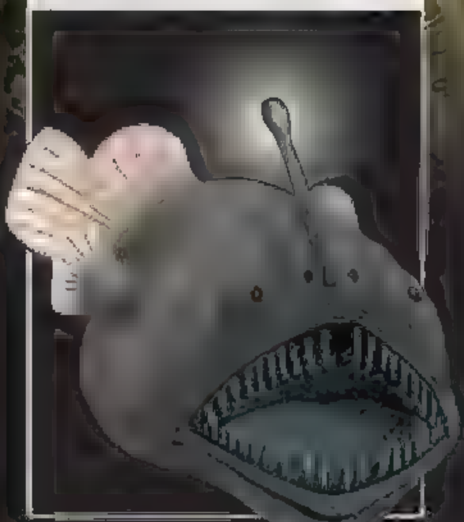


لغز محير!

مع هبوط غواصة الأعماق تريستا إلى قعر المحيط عام 1960، تصدعت إحدى نوافذها الخارجية محدثًا ارتجاجًا في المركبة برمتها. كانت تلك المرة الوحيدة التي تصل فيها مركبة يقودها إنسان إلى نقطة تشالنجر ديب.

الحياة في المياه العميقة

اكتشف المستكشفون عددًا كبيرًا من المخلوقات المذهلة التي لم تكن معروفة من قبل في أعماق المحيطات، ومنها أبو الشص (أدناه). تعيش هذه المخلوقات الغريبة في الظلمة وتقتات الفتات التي تنزل إلى القعر من سطح المياه.



غواصة الأعماق

عام 1953، طور العالم السويسري أوغست بيكارد (1884-1962) غواصة الأعماق التي تعتمد على نظام الحاويات القابلة للعوم بغية التحرك بشكل مستقل في المياه الأكثر عمقًا. عام 1960، وصلت غواصة الأعماق تريستا إلى أعمق نقطة في المحيطات في العالم، أو تشالنجر ديب في المحيط الهادئ، الواقعة على عمق 10,911 م تحت مستوى البحر.

عالم ما تحت الأمواج

يحتضن العالم القائم تحت أمواج البحر مجموعة كبيرة من الأسماك، والثدييات البحرية، والشعب المرجانية والنباتية البحرية. لقد بقيت أبواب هذا العالم حتى فترة ليست ببعيدة، موصدة في وجهنا. غير أن رجلًا واحدًا أدى الدور الأبرز في تسهيل استكشاف ما يجري تحت الأمواج.

جهاز نقال لتزويد الهواء

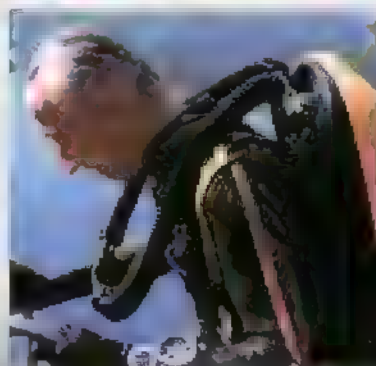
عام 1943، اخترع المستكشف الفرنسي المتخصص بأعماق البحار جاك كوستو، بالتعاون مع المهندس إميل جانييه جهاز التنفس تحت الماء أو الجهاز النقال لتزويد الهواء الذي يمكن للغواص أن يحمله على ظهره. وبفضل هذا الاختراع، تمكن كوستو من استكشاف عالم أعماق البحار، والتقاط الصور للمناظر المدهشة التي شاهدها.

مذهل!

كان كوستو مفتونًا بفكرة العيش تحت المياه. عام 1963، بنى منزلا تحت المياه في البحر الأحمر وأمضى فيه شهرًا بكامله.

بفضل كوستو، تمكن الغواصون من الاستمتاع بجمال الشعب المرجانية، ومنها هذه الشعب في البحر الأحمر.

جاك كوستو



أظهر ضابط البحرية الفرنسي جاك إيف كوستو (1910–1997) شغفه بالبحار في سن مبكرة. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومشاركته في القتال إلى جانب المقاومة الفرنسية، أنشأ شركة خاصة به لإجراء البحوث عن الحياة تحت المياه.





تشهد حالة سفينة كاليبسو تدهورًا سريعًا في ظل الخلاف الواقع بين أفراد أسرة كوستو بشأن مصيرها.

إرث متنازع عليه

بعد أن كانت تابعة للأسطول البحري الملكي، قام كوستو بتحويل سفينة كاليبسو إلى قاعدة لرحلات الغوص التي كان يقوم بها. ومنذ وفاة كوستو، وقع خلاف حول ملكية السفينة ولم يستعملها أحد مذاك الحين.

كشف النقاب عن عالم جديد

شكلت الصور الفوتوغرافية التي التقطها كوستو تحت الماء للشعب المرجانية في البحر الأحمر أول معاينة دقيقة للحياة البحرية. وكان الفيلم الذي أعده وأخرجه عام 1956 بعنوان «العالم الصامت» أول فيلم بالألوان يصور تحت الماء ويُعرض على الجمهور. فقد كرس كوستو حياته لتثقيف الناس عن أشكال الحياة تحت المياه. وباشر عام 1985 بمشروع بحثي طويل الأمد لدراسة الحالة الصحية للمحيطات والبحار في العالم.



غواص يستكشف القسم الداخلي من حطام سفينة مستخدمًا جهاز التنفس تحت الماء.

جهاز التنفس تحت الماء

كان جهاز التنفس تحت الماء أول وحدة غوص تتمتع بالاكتفاء التام. فالهواء المزود في أسطوانات الضغط العالي الموضوعة على ظهر الغواص تصل إلى الغواص عبر أنبوب متصل بقطعة للفم. يساعد جهاز التنفس تحت الماء الغواص على السباحة بحرية على عمق 30 مترًا من دون أي أسلاك معيقة للحركة أو بذلة غوص ثقيلة الوزن.

الإطار الزمني:

- 1938: كوستو ينظم أول رحلة غوص في البحر الأبيض المتوسط.
- 1943: كوستو يخترع جهاز التنفس تحت الماء بمساعدة إميل جانييه.
- 1950: كوستو يشتري سفينة كاليبسو.
- 1952-1953: تنفيذه دراسة فوتوغرافية رائدة عن البحر الأحمر.
- 1963: كوستو يمضي شهرًا تحت الماء.
- 1973: تأسيسه جمعية كوستو لحماية الحياة في المحيطات.
- 1985: مباشرته بمشروع بحثي عن حالة المحيطات في العالم.

قمة العالم

أسرت سلسلة جبال الهيمالايا الشاهقة المستكشفين الأوروبيين منذ أمد بعيد. فركزت كل من الدول اهتمامها في إحدى قمم سلسلة جبال الهيمالايا المختلفة؛ فحشد الألمان جهودهم لاستكشاف نانكا بربت، والإيطاليون لاستكشاف جبل جي كاي 2، ثاني أعلى جبل في العالم، والبريطانيون لاستكشاف إفرست، أعلى جبل على الأرض.

تمهيد الطريق

في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى عام 1918، حاولت 13 بعثة استكشافية بلوغ قمة جبل إفرست من جهة التيبت، لكنها باءت كلها بالفشل. وعام 1949، فتحت النيبال حدودها أمام الأوروبيين، متيحة بالتالي الفرصة أمام المتسلقين بالوصول إلى قمة إفرست عبرها. وفي السنة التالية، وصل المتسلقون الفرنسيون إلى قمة أنابورنا الأول، محطمين بذلك حاجز الـ 8000م النفسي، ممهدين الطريق أمام الجميع إلى جبل إفرست.

الإطار الزمني:

- **10 آذار/مارس 1953: البعثة الاستكشافية التي يرأسها جون هانت تغادر كاتموندو وتشق طريقها عبر تلال الهيمالايا.**
- **25 آذار/مارس: البعثة تبني معسكرًا أساسيًا لها عند منحدر خومبو الجليدي على ارتفاع 5530م.**
- **28 أيار/مايو: انطلاق تنسينغ وهيلاري برفقة فريق دعم عاد أدراجه على علو 8590م.**
- **29 أيار/مايو: وصول تنسينغ وهيلاري إلى القمة عند الساعة 11.30 صباحًا ومكوثهما لمدة 15 دقيقة قبل أن يعودا أدراجهما.**

تينسينغ وهيلاري



كان تنسينغ نورغاي (1914-1986)، الظاهر إلى يمين الصورة، مواطنًا نيباليًا صاحب خبرة واسعة في تسلق جبل هيمالايا. ولقد تمكن من الوصول إلى علو 250 مترًا من القمة مع البعثة الاستكشافية السويسرية عام 1952. ولد إيدموند هيلاري (إلى اليسار) عام 1919 في أوكلاند في نيوزيلندا، وشارك في أول رحلة لتسلق جبل أساسي في سن العشرين. عام 1950، تسلق جبال الألب وقام بأول زيارة لجبال الهيمالايا عام 1951.

الوصول إلى القمة

جرى التخطيط للبعثة الاستكشافية التي أُرسلت عام 1953 بدقة متناهية بحيث تم إنشاء سلسلة من المعسكرات المخصصة للإمدادات في القمة الجنوبية على ارتفاع 8550 مترًا. وانطلاقًا من تلك النقطة، يتابع اثنان من المتسلقين طريقهما ليتسلقا الـ 300 متر المتبقية وصولاً إلى القمة الأعلى في العالم. انطلق تنسينغ نورغاي وإيدموند هيلاري في 28 أيار/مايو، برفقة فريق دعم، وامضوا تلك الليلة في حيد ضيق مغطى بالثلج. وفي صباح اليوم التالي، ساعد الطقس الصافي المتسلقين على متابعة طريقهما نحو القمة.

قمة إيفرست الواقعة على علو 8850 مترًا هي أعلى قمة جبلية في العالم.

معسكر مخصص للإمدادات عائد للبعثة الاستكشافية الحديثة المرسلة لتسلق إيفرست.



معسكرات الإمدادات

أنشأت بعثة عام 1953 سلسلة من تسعة معسكرات ممتدة ما بين المعسكر الرئيسي عند منحدر خومبو الجليدي والقمة. وزود كل من المخيمات التسعة بالطعام والمعدات اللازمة للتسلق بما في ذلك قوارير الأوكسجين للمتسلقين.

مذهل!

منذ النجاح الذي حققته البعثة الاستكشافية في بلوغ قمة إيفرست عام 1953، كانت تُرسل البعثات لتسلق هذا الجبل في كل عام تقريبًا. ففي 15 مايو 2002، تمكن 44 متسلقًا من بلوغ القمة.



اعتاد الشيربا على القيام برحلات طويلة سيرًا على الأقدام في الجبال المرتفعة.

أدلاء الجبال

كان تنسينغ نورغاي من الشيربا، وهي عبارة عن مجموعة عرقية من منطقة هيمالايا الواقعة في النيبال، هاجر أسلافها إلى النيبال من شرقي التيبت منذ 500 سنة. يتميز هذا الشعب بصلابته وجرأته وتأقلمه مع المرتفعات في سلسلة جبال الهيمالايا، ما جعل منهم خير أدلاء وحمالين للبعثات التي تتسلق الجبال في المنطقة.

الوصول إلى الفضاء

بعد عام 1945، كانت أنظار الكثيرين من المستكشفين المحتملين متجهة نحو السماء ومنها إلى الفضاء الخارجي. غير أن التقدم التكنولوجي المراد لإرسال الإنسان إلى مدار كوكب الأرض، بغض النظر عن القمر، وإعادته إلى الأرض سالمًا، كان هائلاً.

السباق إلى الفضاء

مع إشراف الحرب العالمية الثانية على نهايتها، كانت ألمانيا قد طورت تقنية إطلاق صاروخ فاو 2 بسرعة فوق الصوتية ضمن الغلاف الجوي للأرض. ومع انتهاء الحرب، استخدم العلماء هذه التقنية لبناء صواريخ قادرة على الإفلات من جاذبية الأرض والسفر عبر الفضاء الخارجي. ما ساهم في ظهور نوع من المنافسة بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الروسي (روسيا حاليًا) لإرسال الإنسان إلى الفضاء.

الإطار الزمني:

- 4 تشرين الأول/ أكتوبر 1957: الاتحاد السوفياتي يُطلق أول قمر اصطناعي سبوتنيك 1.
- تشرين الثاني/نوفمبر 1957: الكلبة لايكا هي أول كائن حي يخرج إلى الفضاء في المركبة سبوتنك 2، لكنها توفيت في المدار.
- 20 آب/أغسطس 1960: المركبة سبوتنك 5 تخرج إلى المدار وعلى متنها كلبان وتعيدهما سالمين إلى الأرض.
- نيسان/أبريل 1961: يوري غارغارين هو أول إنسان يخرج إلى الفضاء ويدور حول الأرض على متن المركبة فوستوك 1.



يوري غارغارين

ولد يوري غارغارين (1934–1968) في منطقة غرب روسيا وتابع تدريبه ليصبح طيارًا عسكريًّا عام 1957. اختير من بين 19 رائد فضاء آخرين لينضم إلى برنامج الفضاء السوفياتي عام 1960. وبعد نجاح رحلته إلى الفضاء عام 1961، اكتسب شهرة عالمية. وتوفي بعد سبع سنوات خلال رحلة تدريب عسكرية.

الرائدان الفضائيان الأولان

أطلق الاتحاد السوفياتي أول قمر اصطناعي (جسم يدور حول الأرض) سبوتنيك 1 عام 1957. بعد مرور أربع سنوات، أصبح رائد الفضاء يوري غارغارين أول رجل يخرج إلى الفضاء على متن المركبة الفضائية فوستوك. ولم تكد تمر بضعة أشهر حتى أرسلت الولايات المتحدة أول رائد فضاء أميركي، آلان شيبارد، إلى الفضاء، غير أن الاتحاد السوفياتي تمكن من إحراز تقدم واضح في السباق إلى الفضاء.



فوستوك 1

أُطلقت المركبة الفضائية الكروية فوستوك 1 التي نقلت يوري غارغارين إلى الفضاء من مركز باكونور الفضائي. استمرت الرحلة 108 دقائق وانتهت مع قذف غارغارين من الكبسولة. كان على ارتفاع 7 كلم عن الأرض وتمكن من الهبوط سالمًا بفضل المظلة التي كان مزودًا بها.



صورة الكرة الأرضية من الفضاء.

مذهل!

إن أول كائنين تمكنا من السفر إلى الفضاء الخارجي ودخول الغلاف الجوي للكرة الأرضية سالمين هما الكلبتان بيلكا وستريلكا عام 1960.



سبوتنيك 1

كان قطر القمر الصناعي الكروي سبوتينك 1، الذي أُطلق بالاستعانة بأحد الصواريخ، من مركز باكونور الفضائي فيما يُعرف حاليًا بكازاخستان في 4 تشرين الأول/أكتوبر 1957، لا يتجاوز الـ 58.5 سنتم. وتمكن من السفر بسرعة 29 ألف كيلومتر في الساعة واستمر بإرسال الإشارات اللاسلكية لمدة 22 يومًا إلى حين انقضاء بطاريات جهاز الإرسال.

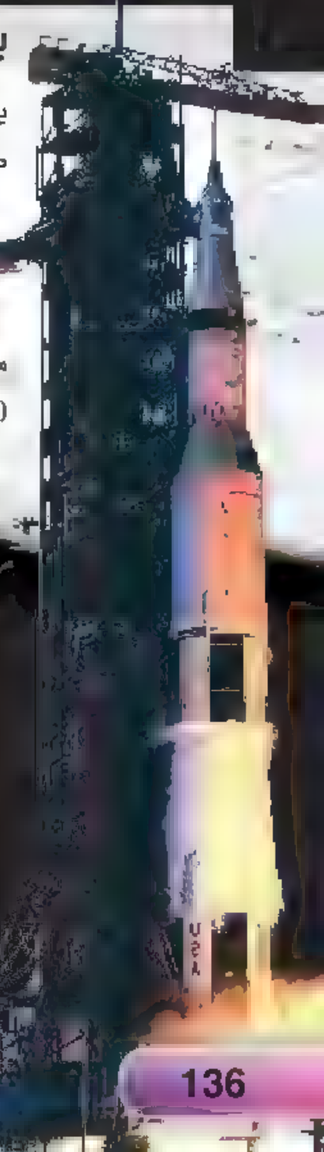
رجل على سطح القمر



في أيار/مايو 1961، تعهد الرئيس الأميركي جون كينيدي بأن يبذل ما في وسعه لتتمكن الولايات المتحدة الأميركية من إرسال رجل إلى القمر قبل انتهاء العقد. فالاتحاد السوفياتي تمكن من التغلب على الولايات المتحدة الأميركية في السباق إلى الفضاء، لذا، كان لا بد من أن تطلق هذه الأخيرة برنامج أبولو الفضائي لتسجل من خلاله انتصارا على الاتحاد السوفياتي.

برنامج أبولو

يعد مشروع أبولو الفضائي من المشاريع الأكثر طموحًا التي يمكن أن تنجزها أي دولة في أوقات السلم. لقد بلغ عدد الأشخاص الذين شاركوا في تنفيذه، مع بلوغه ذروته، نحو نصف مليون شخص. كان الهدف الأساسي بناء مركبة تتسع لثلاثة أشخاص وقادرة على قطع 380 ألف كلم لنقلهم إلى القمر.



إطلاق أبولو 11 من على قمة الصاروخ ساتورن 5 الثلاثي المراحل البالغ ارتفاعه 111م.

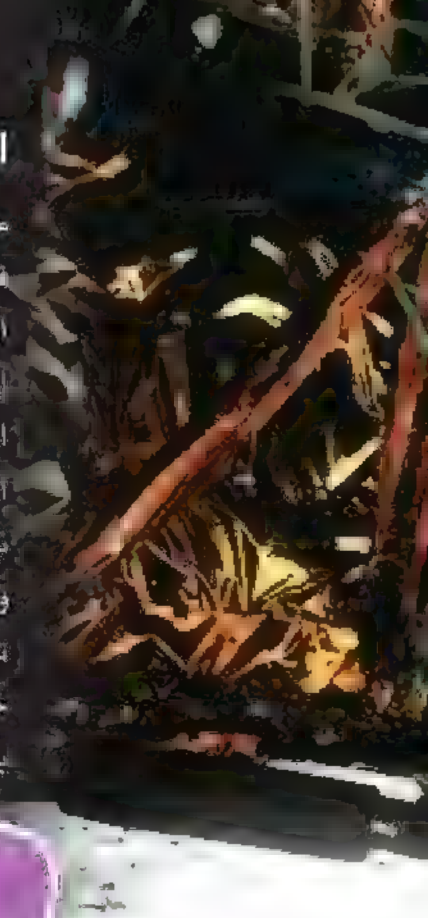
البدايات المأساوية



شهد عام 1967 انطلاقة مأساوية بحيث لقي رواد الفضاء الثلاثة مصرعهم عند اندلاع النيران في منصة الإطلاق. وخلال الرحلات التي تلت هذه الحادثة، دار رواد الفضاء حول الأرض ومن ثم حول القمر وذلك لاختبار المعدات التي يحتاجون إليها للهبوط على القمر.

المشي على سطح القمر

مع حلول عام 1969، كان مشروع أبولو قد أصبح جاهزاً. وفي 16 تموز/يوليو انطلق أبولو 11 من مركز جون كينيدي الفضائي في فلوريدا. ومع وصوله إلى مدار القمر، انفصلت مركبة الهبوط على القمر المسمّاة إيجل عن مركبة الفضاء حاملة نيل أرمسترونغ وبز ألدرن إلى سطح القمر. وعند الساعة 10.56 من صباح العشرين من تموز/يوليو، صنع نيل أرمسترونغ التاريخ من خلال سيره على سطح القمر، وتبعه ألدرن بعد وقت قصير.



بز ألدرن ينزل من مركبة إيجل على سطح القمر.

الإطار الزمني:

- 27 كانون الثاني/يناير 1967: اشتعال النيران في أبولو 1 على منصة الإطلاق ووفاة 3 رواد فضاء.
- 11 تشرين الأول/ أكتوبر 1968: إطلاق رحلة أبولو 7 المأهولة في رحلة في مدار الأرض.
- 21 كانون الأول/ديسمبر 1968: إطلاق رحلة أبولو 8 المأهولة حول القمر.
- 20 تموز/يوليو 1969: هبوط أبولو 11 على سطح القمر.
- 26 تموز/يوليو 1971: إطلاق أبولو 15 عربة قمرية لاستكشاف سطح القمر.
- 7 كانون الأول/ديسمبر 1972: بعثة أبولو الأخيرة مع أبولو 17.

ماذا بعد؟

بعد نجاح أبولو 11، هبطت خمس بعثات أخرى مأهولة على سطح القمر، وكان آخرها عام 1972، بحيث توقفت بعدها الرحلات إلى القمر.

طاقم أبولو 11

ولد كل من نيل أرمسترونغ (إلى يسار الصورة) وادوين بز ألدرن (إلى يمين الصورة) و مايكل كولينز (في الوسط) عام 1930. خضعوا للتدريب بصفة طيارين عسكريين قبل أن يصبحوا من رواد الفضاء، ويشاركوا في أولى الرحلات الفضائية ضمن برنامج جمناي عام 1966. وفي الوقت الذي هبط فيه كل من أرمسترونغ وألدرن على سطح القمر على متن مركبة إيجل المخصصة للهبوط على القمر، ظل كولينز في المدار حول القمر على متن مركبة الفضاء كولومبيا.



جدول تعابير وجدول زمني

أرخبيل

مجموعة كبيرة من الجزر.

الإسطرلاب

أداة يستخدمها البحارة لقياس ارتفاع الشمس عند الظهيرة، وتحديد بعد السفينة من خط العرض.

الاسقربوط

مرض ناجم عن نقص في الفيتامين س، غالبًا ما كان يصيب الملاحين لدى توقفهم عن تناول الفاكهة الطازجة أو الخضار في أثناء الرحلات الطويلة.

إمبراطورية

مجموعة كبيرة من الأراضي والدول الخاضعة لحكم حاكم واحد .

بادراو

صليب حجري يستخدمه الملاحون البرتغاليون للدلالة على تقدمهم على طول الساحل الإفريقي.

البدو الرحّل

الشعوب التي تتنقل من مكان إلى آخر بحثًا عن الطعام، والماء والمراعي لحيواناتهم.

برزخ

شريط ضيق من اليابسة يصل ما بين كتلتين من اليابسة.

تجارة

عملية بيع البضائع وشرائها.

ثقافة

نمط الحياة الذي يميز شعبًا أو بلدًا معينًا بما في ذلك فنونه، وأدبه وموسيقاه .

جانك

سفينة شراعية صينية مزودة بأشرعة مربعة الشكل وقعر مسطح.

الحج

رحلة إلى مقام أو مكان مقدس يقوم بها الحجاج.

خط الاستواء

خط وهمي حول الكرة الأرضية في

قرابة عام 1470 ق.م	إبحار المصريين إلى بنط
قرابة عام 475 ق.م.	إبحار حانون على طول الساحل الغربي لأفريقيا
قرابة عام 330 ق.م	إبحار بيتياس حول بريطانيا وزيارته ثول
قرابة عام 200 ق.م.	إنشاء البولينزيين مستوطنة تاهيتي
138 ق.م.	رحلة جانك جيان عبر آسيا الوسطى
399 م	رحلة فاكسيان من الصين إلى الهند
629	رحلة تشيونتسانغ من الصين إلى الهند
921	رحلة ابن فضلان عبر آسيا الوسطى
قرابة عام 1000	إبحار ليف إريكسون إلى وينلاند
1271	رحلة ماركو بولو إلى الصين
1325	رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى مكة المقدسة
1418	هنري البحار يبني مدرسة في ساغريس
1488	بارثوليميو دياز يدور حول رأس الرجاء الصالح
1492	كريستوفر كولومبوس يبحر في المحيط الأطلسي
1497	فاسكو دي غاما يفتح الطريق البحري إلى الهند؛ جون كابوت يبحر إلى نيوفاوندلاند

منتصف المسافة بين القطبين الشمالي والجنوبي.

خط العرض
المسافة شمالًا أو جنوبًا عن خط الاستواء. تقاس بالدرجات

خط الطول
المسافة غربًا أو شرقًا من الخط الذي يصل القطب الشمالي بالقطب الجنوبي ويمر في غرينتش في إنكلترا. تقاس هذه المسافة بالدرجات.

الربعية
جهاز ملاحة يستخدمه البحار لقياس زاوية النجمة ليتمكن بالتالي من تحديد بعد السفينة من خط العرض. في القرن الثامن عشر استبدلت الربعية بالثمنية، ومن ثم بالسدسية الأكثر دقة.

رائد فضاء
عبارة أميركية أطلقت على كل من سافر إلى الفضاء، وتقابلها باللغة الروسية عبارة «كوسمونوت» Cosmonaut.

ركونوميتر
ساعة دقيقة مصممة خصيصًا للاستعمال في الظروف المناخية كافة.

دير
مكان يقطن فيه المنتسبون إلى الرهبانية .

ذو أشرعة مربعة
سفينة مزودة بأشرعة مربعة أو مستطيلة الشكل، تتدلى في أغلب الأحيان من عارضة متينة .

السرب الجليدي
الجليد العائم على سطح مياه البحار أو المحيطات، والذي يصبح متراصًا ليشكل طبقات عملاقة يمكن رؤيتها في المحيط المتجمد الشمالي والمحيط المتجمد الجنوبي.

سفينة الكنز
غليون أو غيرها من السفن الشراعية الضخمة المستخدمة لنقل الذهب، والفضة وغيرها من البضائع الثمينة.

1499 أمريكو فيسبوتشي يبحر على طول ساحل البرازيل

1513 نونيث دي بالبوا يشاهد المحيط الأطلسي

1521 هيرمان كورتيس يستولي على إمبراطورية الأزتيك

1528 بانفيلو دي نارفايز يستكشف فلوريدا

1533 فرانشيسكو بيزارو يستولي على إمبراطورية الإنكا

1535 جاك كارتييه يبحث عن الممر الشمالي الغربي

1541 فرانسوا إكزافيه يسافر عبر آسيا

1553 ريتشارد شانسلور يعثر على الطريق البحري المؤدي إلى روسيا

1594 ويليام بارنتس يبحث عن الممر الشمالي الشرقي

1603 صاموئيل دي شامبلين يستكشف كندا

1624 أنتونيو دي أندرادي يعبر جبال الهيمالايا

1661 غروبير ودورفيل يزوران لاسا

1673 لويس جوليه يستكشف المسيسيبي

1682 كافالييه دي لاسال يصل إلى دلتا المسيسيبي

1725 رحلة فيتوس بيرينغ إلى سيبيريا

1770 جايمس بروس يستكشف منبع النيل الأزرق

1796 مونغو بارك يصل إلى النيجر

شبه جزيرة
شعب منبسط من الأرض محوط بالمياه من جهاته الثلاث.

طريق الحرير
طريق قديم يصل الصين بالبحر الأبيض المتوسط ومنه إلى أوروبا، مرورًا بآسيا الوسطى والشرق الأوسط.

العالم الجديد
عبارة استخدمها الأوروبيون لوصف أميركا الشمالية بعد زيارتهم الأولى لها في القرن السادس عشر. عُرفت بعدها أوروبا وآسيا وأفريقيا بالعالم القديم.

علم الآثار
دراسة مخلفات الحضارات السابقة.

علم المحيطات
دراسة محيطات العالم وخصائصها الفيزيائية، الكيميائية، الجيولوجية والبيولوجية.

قارة
أحد أجزاء اليابسة السبعة الكبرى في العالم: أميركا الجنوبية والشمالية، أوروبا، أفريقيا، آسيا، أوقيانيا والقارة القطبية الجنوبية.

القطب الجنوبي
أعلى نقطة جنوبية في الكرة الأرضية على محور دورانها. تقع في الدائرة القطبية الجنوبية.

القطب الشمالي
أعلى نقطة شمالية في الكرة الأرضية على محور دورانها. تقع في الدائرة القطبية الشمالية.

قطبي
مرتبط بالقطبين الشمالي والجنوبي.

قافلة
مجموعة من التجار الذين يسافرون معًا عبر الصحراء أو المناطق التي يحتمل أن تكون معادية، حفاظًا على سلامتهم. تضم القافلة مجموعة من الحيوانات المحملة بالبضائع، خاصة الجمال أو الخيول.

القيصر
إمبراطور أو حاكم روسيا بالوراثة.

القطب المغناطيسي الجنوبي
المكان الذي تشير إليه البوصلات كافة في نصف الكرة الجنوبي.

1804 لويس وكلارك يعبران أميركا الشمالية

1828 شارلز ستورت يبدأ برسم خرائط الأنهر الأسترالية؛ رينيه كاييه يدخل تمبكتو

1830 ريتشارد لاندر يتبع مجرى النيجر وصولًا إلى البحر

1835 شارلز داروين يزور أرخبيل غالاباغوس

1841 دايفيد ليفينغستون يبدأ باستكشاف أفريقيا

1842 جون فريمونت يبدأ باستكشاف غربي الولايات المتحدة الأميركية

1850 هاينريش بارث ينطلق في رحلة عبر الصحراء الكبرى

1858 ريتشارد بورتون يشاهد بحيرة تنجانيقا للمرة الأولى

1862 جون سبيك يكتشف منبع نهر النيل

1871 ليفنغستون وستانلي يلتقيان في أودجيجي؛ شارلز هال يصل إلى الشاطئ الشمالي لغرينلاند

1872 السفينة الملكية تشالنجر تستكشف محيطات العالم

1876 هنري ستانلي يبدأ باستكشاف الكونغو

1879 أدولف نوردنسكيلود يبحر عبر الممر الشمالي الشرقي

1890 سفين هيدين يبحر باتجاه آسيا الوسطى

1893 فريتيوف نانسن يبدأ رحلته على متن سفينة «فرام»؛ ماري كينغلسي تسافر في رحلة إلى غرب أفريقيا

كارافيل

سفينة عابرة للمحيطات، مجهزة بأشرعة مربعة الشكل، وثلاثة سوارٍ، طورها البرتغاليون.

لغوي

شخص يدرس اللغات ويكون بارعًا في استعمال لغات مختلفة، كتابة وقراءة.

المبشر

شخص يسافر إلى الخارج لهداية السكان المحليين إلى ديانته.

مضيق

مجرى مياه ضيق واقع بين بحرين أو محيطين.

الممر الشمالي الشرقي

الطريق من المحيط الأطلسي، مرورًا بمحاذاة سيبيريا وصولًا إلى المحيط الهادئ.

الممر الشمالي الغربي

الطريق من المحيط الأطلسي بمحاذاة شمال كندا وصولًا إلى المحيط الهادئ.

المنابع

مجموعة من الجداول المتدفقة بعضها في بعض لتشكيل نهر.

المنبع

النبع أو المناهل التي ينبع منها النهر.

مستعمرة

منطقة أو دولة خاضعة لهيمنة دولة أخرى.

نصف الكرة الجنوبي

نصف الكرة الأرضية الواقع إلى جنوبي خط الاستواء.

نصف الكرة الشمالي

نصف الكرة الأرضية الواقع إلى شمالي خط الاستواء.

C.

اختصار للعبارة اللاتينية Circa ومعناها نحو. تستخدم عندما يكون التاريخ الصحيح غير معروف وعندما يكون التاريخ المذكور تقريبيًا.

1899 جيرترود بيل تبدأ رحلة استكشاف الشرق الأوسط

1900 أوريل ستاين يبدأ باستكشاف غربي الصين

1906 روال أموندسن يبحر عبر الممر الشمالي الغربي

1909 وصول بيري وهانسون إلى القطب الشمالي

1911 روال أموندسن يصل إلى القطب الجنوبي

1927 فريا ستارك تسافر عبر الصحراء العربية

1930 برترام توماس يعبر الربع الخالي؛ بيبي وبارتون يستخدمان كرة الأعماق للمرة الأولى قبالة برمودا.

1943 جاك كوستو يخترع جهاز التنفس تحت الماء

1945 ويلفريد ثيسيجر يستكشف الربع الخالي

1953 هيلاري وتينسينغ يتسلقان إيفرست

1957 الاتحاد السوفياتي يُطلق أول قمر صناعي، سبوتنيك 1

1958 فيفيان فوكس يعبر المحيط المتجمد الجنوبي

1960 غواصة تريستا تصل إلى خندق ماريانا في عمق المحيط

1961 يوري غاغارين هو أول رائد فضاء

1969 أرمسترونغ وألدرن يسيران على سطح القمر.

الفهرس

الفهرس